كاشف الإلباس

عن فيضة الختم أبي العباس

لمؤلفه

وحيد دهره فى العلم والدين وشيخ أوانه فى تربية المريدين

خاتمة المحققين وحجة العارفين ابن الشيخ الحاج عبد الله

إبراهيم لا يزال بفضل مولاه فى جمال جلاله يهيم

١٣٢٠ سنة هـ ١٣٩٥ سنة هـ

ملتزم الطبع والنشر

الشيخ التجانى على سيس

رقم الإيداع ٤٢٦٤ / ٢٠٠١

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
: ٣٣٨٢٤٠ - ٣٣٨٢٤٢ - ٠١١/٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

الإهداء

إلى كل الصوفية عامة والتجانية خاصة

نهدي إليهم كتاب "كاشف الالباس" الذى

يعتبر لب اللباب في علم التصوف .

يقول العلامة الصوفي أبو سليمان الداراني :

القلب الصوفي قد رأى الله عز وجل وكل شيء يرى

الله لا يموت وكل كلمة خطها الصوفية كانت خالدة

كالقلب الصوفي خالدة لا تموت لأنها ارتبطت بالله

واستهدفت رضاه واقتبست من هواه وأشرقت

بحبه وأضاءت بنوره .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول الآخر الظاهر الباطن القائل « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » والقائل « يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وما يذكر إلا أولوا الألباب وفوق كل ذى علم عليم والصلاة والسلام على النور الساطع والبرق اللامع منبع الفيض الإلهى ومقتبس نوره البهى سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم القائل بلغوا عنى ولو آية والقائل فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع .

وبعد :

فإن التصوف مادة موصولة بالله قائمة به فانية فيه وراجعة إليه سبحانه وتعالى والمتصوفون خواص عباده وحراس دينه وملته وحملة كتابه وشريعته فى كل زمان ومكان وأقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم ومعارفهم وفيوضاتهم وأعمالهم ومقاماتهم كلها فى الله وإلى الله وهو سبحانه وتعالى مربيهم ومعلمهم وهاديهم ومرشدهم إلى الصراط السوى المستقيم وبهذا الارتباط الذى كله وجد وحب وأنس وقرب واستغراق فى ذات الله تبارك وتعالى أصبح الصوفى أينما تولى فثم وجه الله لا يرى سواه ويقول بعضهم : التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به .

وقد سئل سيدنا ومولانا وأستاذنا أبو العباس التجانى رضى الله عنه عن حقيقة التصوف فأجاب رضى الله عنه بقوله : اعلم أن التصوف هو

امتثال الأمر واجتناب النهى فى الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى .

ولسنا هنا اليوم بصدد الدفاع عن الصوفية لأن الله دافع عنهم إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ودافعوا بالتالى عن أنفسهم لما تبرءوا من كل مايخالف الشريعة مما ينسب إليهم يقول مولانا أبو العباس التجانى إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه وماذا بعد الحق إلا الضلال وعلى هذا فإننا نزف إليكم معاشر أصحاب الشيخ وأحبابه عموما وخصوصا بشرى عظيمة وهى اعادة طبع كتاب كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبى العباس بعد التصحيح التام من نسخته الأصلية وهذا الكتاب فى الحقيقة يستحق أن يكتب بماء الذهب لما احتوى عليه من علوم وأسرار وفيوضات وأنوار رضى الله عن مؤلفه فقد أوجز وأفاد ونفع به البلاد والعباد فقد جمع فيه كل ما افترق فى كتب المتصوفين بل هو جامع لزبدة هذه الكتب المؤلفة فى هذا الفن . ويقول صاحبه إن من دقق النظر وأنصف يعلم يقينا أنه ألفه الشيخ التجانى بيده رضى الله عنه نفعنا الله به وبمؤلفه أمين .

وقبل الختام أشكر أخى العزيز السيد الشيخ التجانى على سيس الذى بذل جهده وسعى لانجاز هذا العمل المبرور والسعى المشكور وهو اعادة طبع هذا الكتاب بعد التصحيح وتخريج أحاديثه الواردة فيه من أمهات كتب الحديث مثل صحيح الإمام البخارى وكذا صحيح الإمام مسلم وكتب السنن الأربعة الترمذى وأبى داود وابن ماجه والنسائى وكتب السنة الأخرى التى تزيد عن ثلاثين كتابا وكذا من كتاب اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ليسهل للقارئ الوصول إلى

الحديث نفسه أو بلفظ آخر حسب الروايات والله ولى التوفيق وهو سبحانه وتعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينظر إليه نظرة الرضى والقبول وأن يكون خدمة مقبولة لجناب مولانا وشيخنا ووسيلتنا إلى الله شيخ الإسلام ومرشد الأنام قطب الإرشاد وغوث العباد الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله التجانى رضى الله عنهما آمين إنه سميع قريب مجيب .

وكتب الحسن على سيس
بمدينة كولخ
لست خلون من ذي القعدة
الحرام سنة ١٤٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سر الذات وترجمان الأسماء والصفات سيدنا محمد خير البريات وعلى آله وأصحابه ينابيع الفضل والفيوضات ؛

وبعد فهذه نبذة يسيرة من ترجمة المؤلف رضى الله عنه فهو الشيخ بجميع مراتبه ، ولسان وقته ونور زمانه ، ونسيج وحده محل نظر الله من خلقه والباب المفتوح لكل من يريد الولوج لحضرة قدسه فريد دهره فى العلم والدين ، وشيخ أوانه فى تربية المريدين ، علم المهتدين وخاتمة المحققين فى القرن الرابع بعد الألف بهجة الليالى والأيام وحجة العارفين الأعلام غرة الأمة المحمدية ، وناصر الطريقة الأحمدية ، الإبراهيمية الحنفية ، وزُبدة رجالها الأجلة ، مطلع شمس العلوم والمعارف ومجمع بحرى الحلوم والعوارف ، الحرز المنيع والكهف الرفيع درة تاج الصّدّيقين الكرام وواسطة العقد النفيس من الأقطاب الأعلام الرافع رايات المكارم بين الأنام الجامع لما افترق من علوم القوم بأسرها من أول هذه الأمة إلى آخرها أخى الأخلاق الحسنة المرضية ، والشمائل القدسية المحمدية ، المنتهى فى العلوم الحقانية الوهبية والمعارف الربانية الرحمانية إلى المرتبة التى يقصر عن وصفها الإطناب والإسهاب فضلاً وتفضيلاً من الكريم الوهّاب عديم النظير والمثال ، فى الحال والمقال ، من تسنم قنن المجد والصفاء والكمال ، بالوراثة المحمدية والتربية الأحمدية الختمية ، المتوج بتيجان الجواهر الحسنة الأبقة ، صاحب

الإشارات الخفية ، والإفادات العظيمة ، والعبارات المفهمة (شيخنا) ووسيلتنا إلى الله القطب الفرد الربانى والعارف الكبير الصمدانى (الشيخ إبراهيم) بن الحاج عبد الله التجانى ابن السيد محمد بن مذمب بن بكر ابن محمد الأمين بن صنب بن الرضى رضوان الله عنهم أجمعين ونفعنا به وأحياءنا آمين . وهو رضى الله عنه ولد يوم الخميس بعد العصر عند انتصاف رجب الفرد سنة ١٣٢٠ وتاريخ ولادته (ولد صاحب الفيضة قطب أهل عصره) رئيسًا بإسقاط الألف الآخر بطيبة وهى قرية بناها والده رضى الله عنه ويكفيك فى فضلها والتحقق باسمها كونها مسقطاً لرأس هذا الإمام الخليل ذى الشأن العظيم الجليل ونشأ فى حجر والده رضى الله عنه ذا عفاف وديانة وتقى ومروءة وصيانة وأدب وورع وقرأ عليه القرآن حتى حفظه حفظًا جيدًا برواية ورش عن نافع يافعًا وقد ظهرت منه النّجابة فى صغره ثم شمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى تحصيل العلوم الرسمية المنطوق منها والمفهوم حتى استفاد وأفاد وبلغ فيها المُنى والمراد وتبحر فيها وتفنن بجميع فنونها حائزًا قصب السبق فى أقرب مدة وأقامه الله رحمة للعباد ونفعًا لكل حاضر وباد وتولى تعليمه والده المذكور ذو القدم الراسخ والصيت المشهور حتى تلقى منه بحمد الله فرائد الفوائد وصلات الأسرار والأذكار والعوائد ثم فتح الله عليه فتحًا تامًا وأعطاه علومًا وهبية لَدنية حتى تضلع منها ولم يقرأها على أحد بل قد علّمه إياها الذى هو بكل شئ عليم بالهام ربانى ولم يزل مشتغلاً بالإفادة والاستفادة حتى كثر عنده الراغبون وانتفع بمدرسته المتعلمون وتخرج على يديه علماء فضلاء عاملون وقد شهد له بذلك أهل الدراية والعرفان فعادت بركته على جميع الاخوان وعَلَتْ رُتبته على سائر الأقران وقد (تلقى الطريقة التجانية) عن فريد دهره وحُجة أهل

عصره وزمزم أوراده وأسراره ومجمع أنواره وأذكاره شيخه ووالده العالم العلاّمة والقدوة الدراكة الفهامة خليفة الشيخ التجانى بلاريب وحامل راية طريقته فى بلاد الغرب ألا وهو الشيخ الإمام وأحد الأولياء الأعلام الجامع بين الشريعة والحقيقة فصار بذا خريت الطريقة الحاج (عبد الله ابن السيد محمد) لا يزال ربه الكريم يرقيه إلى المقام الأحمد ثم بعد ذلك تاقت نفسه الكاملة الأبية المطمئنة المرضية ونهضت هِمّته العلية التى لو توجهت إلى الجبال الراسيات لَدكت فى الحين إلى اجتناء ثمار العلوم الحقانية والأذواق الملكوتية والأسرار الجبروتية حتى بلغ فيها مبلغًا لا مطمع لأحد فيه ليعده لا من قبله ولا من بعده ولله در القائل ذى الخطاب المستحسن اللذيذ والعلاّمة الشاعر الخنذيذ وهو موناك التندغى فى نونيته مادحًا بها هذا الشيخ رضى الله عنه :

قطب التجانية الشهير وتاجها	وإمامها وجدوده تيجانها
ذو الرتبة العليا التى تنحط عنـ	ـها العارفون ولو سَما عرفانها
وبه الشريعة قد تمكن صيتها	وبه الحقيقة قد سَما بنيانها
كلتاهما لولاه أقفر رسمها	بين الوَرَى وَتَدَكْدَكَتْ أركانها

ثم انتصب لإفادة الخَلْق بالعلوم اللدنية الوهبية والمعارف الربانية لياليه وأيامه صباحه ومساؤه . أما الكتاب والسنة والأدب والتعليم والإرشاد والفصاحة والبلاغة والبراعة فقد تَسنمها واستبد بها حتى إن غيره طفيلى مائدته فيها وشهد له بذلك أدباء هذا الزمان مابين القاصى منهم والدان وإذا تكلم جثت فصحاء العرب على الرُّكب بين يديه رافعى رءُوسهم ومصغى أسماعهم إليه ويصير قس بن ساعدة باقلا لديه وبيده زمام جميع العلوم النقلية والعقلية ويتصرف كيف شاء فى معانيها

ويستخرج دررها ارتجالاً من معادنها وأما الحقائق الربانية والمعارف القدسية والأحوال الذاتية فهو حامل رايتها ومفتاح أبوابها ومشكاتها ومصباحها وزجاجتها وله فضائل كثيرة ومزايا جمة وأما (مفاخره) وكثرة نفعه لخليقة ربه الناطق منها والجامد فلا يفى بها القلم واللسان وقد رضع ثدى الفضل والأدب والاجتهاد فى طلب رضى المولى الحنان المنان ومواساة المساكين والفقراء والزمنى فشبَّ على حب ذلك الرضاع حتى طار صيته وشاع ذكره فى الآفاق وقد رست عنده رايات السبق فى ذلك كله بلا نزاع ولا شقاق ومازال مانح الفضائل ومعطى المنن والفواضل فى كل آنٍ وزمان وسواكب أفضاله وجوده وإحسانه غادية رائحة إلى كل مكان وبالجملة ففضائله لا تُحصى ولا يأتى بها الاستقصا وقد قصر عن استيفاء محاسنه الأرقام ولو تكسرت فى الكواغد جميع الأقلام وأما جودة (نظمه) ونثره وماله من أجناس البديع والبيان وفصاحة القلم واللسان فقد قصر عنه سحبان وحسان (وله تآليف عديدة) وتقارير كثيرة وأجوبة مفيدة وتقاييد مقنعة جامعة لما افترق من نصوص الأيمة الهداة السراة الثقاة فمن تآليفه :

(كاشف الإلباس ، عن فيضة الختم أبى العباس ، مع تذييله) ومنها (مسرة المجامع ، فى مسائل الجامع) ومنها (الخمر الحلال ، فى مدح سيد الرجال) . ومنها (تيسير الوصول ، إلى حضرة الرسول) ومنها (طيب الأنفاس ، فى مدائح الختم أبى العباس) ومنها (روض المحبين ، فى مدح سيد العارفين) ومنها (النور الربانى ، فى مدح السيد أحمد التجانى) ومنها (روح الأدب ، لما حوى من حكم وأدب) ومنها (نور البصر ، فى مدح سيد البشر) ومنها (السر الأكبر ، والكبريت الأحمر) ومنها (تحفة الأطفال ، فى حقائق الأفعال فى الصرف) ومنها (الفيض

الأحمدى ، فى المولد المحمدى) ومنها (تبصرة الأنام ، فى جواز رؤية البارى فى اليقظة والمنام) ومنها (روح الحب ، فى مدح القطب) . وناهيك منه شهادة بفضله وسمو مقداره ورفعة همته أن جعله الله منهلا للواردين ومؤملا للمريدين السالكين وغياثًا للمستغيثين وظفرًا للعافين وقوتًا للمرملين وماخصه الله به من وقوع الفيضة التى ذكرها القطب المكتوم والخاتم المحمدى المعلوم شيخنا وممدنا أبو الفيض مولانا أحمد بن محمد التجانى على يده وقد شاعت وتواترت بأنها تقع فى آخر الزمان وقد وصل على يديه إلى كمال المعرفة العيانية الشهودية ألوف بعد ألوف ويأتيه فى كل يوم خلق كثير وفودًا على وفود بيضانًا وسودانًا يدخلون فى طريقتنا التجانية ذات المنح الربانية والمواهب العرفانية أفواجًا أفواجًا من جميع أقطار الأرض ولا يأخذ عنه أحد هذا الورد الجسيم إلا وقد انتفع وفاز منه بالمدد الربانى وحلول مواطن العرفان ولله در صاحب النونية المتقدم ذكره حيث يقول :

يا خير من زجر العتاق لبابه — وتنافست فى زوره ركبانها
إن الخلائق فوزها فى زوركم — وبترك زورتها لكم حرمانها
قرت بنفحتك الخلائق واقتفى — سودانها فى زوركم بيضانها
حرن الطريق النتم لمريدكم — لا صخرها يخشى ولا صفوانها
أنت الإمام إمامها وطبيبها — خريتها لقمانها سلطانها
ولأنت تبعها وقيصرها انو — شروانها ونجاشها خاقانها

وهو رضى الله عنه القائم بأعباء التربية النبوية المحمدية فى وقته وحامل لواء الترقية الأحمدية الإبراهيمية وهيكل الأسرار والأذواق والأنوار والأحوال والمقامات والتجليات الختمية وناهيك لهذا القول

شهادة أن قد أتاه بعض من رؤساء أبناء ساداتنا وأشياخنا العلويين الذين هم أساس الطريقة للانخراط فى سلكه والاهتداء بهَدْيه والتعلق بأذياله ولأخذ الورد التجانى كأبناء شيخنا ووسيلتنا إلى الله الشيخ محمد الحافظ الذى بيده انتشرت الطريقة فى المغرب الأقصى وأبناء خليفته وصهره السيد محمد بضم الميم الأولى وسكون الثانية وأبناء الشيخ مولود فال وأبناء الشيخ محمد عال وأبناء الشيخ محمد الحنف ورباهم أحسن تربية وأرشدهم إلى أقوم صراط وطريقة وألقاهم بين يدى مولاهم بأحسن حالة داخلين فى حرز حظيرته سَكَارى بخمر حضرته فانين عن وجودهم باقين به هنيئًا ثم هنيئًا لهؤلاءِ السادات الأعلام لما تعلقوا بأشياخ هذا الشيخ المرشد المربى المرقى الهمام ولم تحجبهم البنوة للمشائخ عن كامل العصر والوصول إليه لأن البنوة للمشائخ هى التى حجبت وعاقت كثيرًا من أهل العصر كغيرهم من أهل العصر القديم اللهم اكشف عنا الحجاب وأزل عنا العلائق والعوائق كما كشفته وأزلته عن ذوى الألباب أهل التصديق واليقين ورقنا إلى أرفع مقام فى المعرفة كل حين والفوز كل الفوز لمن أدرك هذا الشيخ وصاحبه وصدق به أو رآه وسلَّم له ولم يعاده وتواتر وشاع فى جميع أقطار الأرض بأنه لا نظير له فى تربية الخلق وارشادهم إلى الحضرة القدسية العليا :

حلف الزمان ليأتين بمثله   كذبت يمينك يازمان فكفِّرْ

ولله دَر القائل فى الثناء عليه :

شيخ إذا ربى يكون كأحمد   وإذا تكلّم كان مثل الأصمعى

وفى هذا المعنى يقول أخوه وصنوه العلاّمة الفهامة المدقق والشاعر

المحقق العارف بالله الحاج محمد « زينب » بن الشيخ الحاج عبد الله رضى الله عنه :

وتعلموا أن الإمام قد نصب — مايتفع العباد فيضًا ينسكب
على يدى واسطة التجانى — برهام ذى الأنوار والعرفان
فكل من يحب منكم ربه — يرضاه شيخًا بتروى سيبه
شاهد حب ربه محبته — شاهد بغضه كذاك بغضته
ورث سر شيخنا التجانى — عن جده خير بنى عدنان
قد جدد الدين بعيدما اندثر — وسنة المختار من بنى مضر
ألفى طريق شيخنا التجانى — بقطرنا ساقطة المبانى
ألفى طريق شيخنا المكنون — قد بيع بالأموال والعيون
فرم من بنيانه ماقد هدم — وطال فى الجو بناء كالعلم
أقامه الله لنفع الخلق — ونفى كل مهلك بالحق

إلى أن قال :

تعلقن به إذا أردته — ولتتركن كل شغل رمته
وإنما سلاسل الشيوخ — قد نسخت به مع الفخوخ
ربى المريدين على نهج حسن — مثل التجانى شيخنا معطى المنن
قد نبهت به عيون النائمين — وأبصرت به قلوب الغافلين
بالذكر والسنة أسند الإمام — أفعاله فى كل مسلك يرام
فسلموا له شيوخ الوقت — إلا رجعتم لعظيم المقت
لأن فى أسرار ابراهيما — فى ذى الطريق موقعًا عظيما
نحن نشهد له بالسبق — ونحن من أولاده فى الحق

إلى أن قال :

بين يديه أيها المريد — تأدبن يرفدك ما يفيد

وطالما ربى شيوخًا حادوا   عن منهج الرشاد ثم انقادوا
قد جاء بالتربية الصحيحة   من سنن محكمة صريحة
همته تنهض حال من أراد   إلهه فاصحبه إن رمت المراد

إلى آخرها وهى طويلة ؛ وأما الحياء وحسن المعاشرة مع الخلق فى الصفح والعفو والسخاء والصبر والعدل والصمت والوقار والمحبة والأمانة والعبادة والوفاء والشفقة وحسن الخلق مع كل مخلوق لله تعالى والاستنان بسنة خير البرية وسر الحكمة فلا يجارى فيها ولا يضاهى بل هو قطب محرابها ومفتاح أبوابها وأما حسن منظره وصفاء ظاهره فيغنى عن مخبره فكما حاز ظاهره الجمال الالهى كذلك حاز باطنه الكمال الذاتى لا أحرمنا الله لذة مشاهدته ومجالسته فى الحس والمعنى ومن نوره وجماله وطلاقة وجهه يقتبس البدر المنير فى الليل الداج وله رضى الله عنه فى حسن المعاملة مع الخلق واعطاء كل ذى حق حقه وكل ذى حظ حظه والتخلّق بأخلاق ربه البارى الكريم المعطى الهادى الرءوف الرحيم ما يبهر عقول الحاذقين وهو رضى الله عنه حافظ لشروط الآخرة فى القرب والبعاد وراع لحقوق الوداد وقد بلغ الغاية فى التضرع والخضوع والزهد وتقوى الله فى السر والجهر وعدم معاملته لغير الله وحسن الظن بالله وتفويض الأمور إليه حتى شهد له بذلك الخاص والعام والقريب والبعيد وقد خصه الله تبارك وتعالى فى حب رسول الله ﷺ وأهل بيته بمقام لم يُدرك ولا يُرام وفى ذلك يقول أعجوبة الزمان المشار إليه بالبنان العلاّمة القاضى محمد عبد الله بن مصطفى العلوى .

جزى الله إبراهيم خيرًا عن الألى   لهم من على نسبه الأصل والعلا
تراهم يقيمون الزمان بداره   ويعلون فى تلك الإقامة منزلا
فلا ظمأ يخشون ثم ولا طوى   ولا ضجر يخشون منه ولا قلا

ولا ذلة يخشون أيضًا ولا ازدرا ولا خيبة يخشون أيضا ولا ولا

إلى أن قال :

عليه من آيات الخلافة آية من الله لا تخفى على من تأملا
على وجهه نور من الله ساطع أبى الله إلا أن يتم ويكملا
تضلع من عيدين الله دره ودرهما لله نهلا ومنهلا
فقى فيضة العرفان شابه آخرًا ونافع علم فيه شابه أولا

وأما (سخاؤه) رضى الله عنه وإحسانه وفيضان عطاياه الجمة ومواهبه الربانية وجوده وكرمه كالبحر والصيب الثجاج فيترك حاتمًا نسيًا منسيًا لازالت مطارف شكره تنشر ومآثره تُتلى وتُذكر وكان (سكناه) أول أمره فى دار والده بكولخ وحين أيده الله بنصر من عنده وجعل الناس يأتونه من بلاد شتى وأعطاه الله تعالى مالم يُعط من قبله من قومه وضاقت به البقعة لكثرة المتعلقين بأذياله بارك الله فيهم بنى قصرًا خارج كولخ يسمى بمدينة الجديد مسكن القطب الفريد وبنى فيها زاوية أسست يوم الاثنين المبارك لأربعة عشر بقيت من ذى القعدة الحرام فى سنة ١٣٤٩ وأتمها بمدة قليلة لم تجر العادة فى صنع مثلها على تلك المدة ولكن صاحبها كان لله وكان الله له وكفى وهى معمورة بالخمس وقراءة الوظيفة وذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وفى جميع الأوقات سرًا وجهرًا ومشهورة عند الناس بزاوية أهل الذكر وفى الثناء على المدينة والزاوية يقول القاضى المذكور آنفًا :

أمسجد إبراهيم أسست بالتقوى وأرضك لا تأثيم فيها ولا لغوا
لصحب أبى العباس فيك تحلق تنال من العليا به الرتبة القصوى
وللدين تشر لا يزال بطيها وللشيء حظ فى الذى فى اسمه يطوى

ويوخذ منها فى البديهة إنها   لمنهايرى للدين فى الوسط المأوى

وقد صرفت العنان يائسا عن درك عشير العشر من كمالاته ومناقبه ومآثره وكرم أخلاقه ولكنه من وقف على فرائده التى لمعت وغرائب فوائده التى فيه اجتمعت رأت عينه من آثاره ما يشعر بتقديمه وإيثاره وأنا على ذلك من الشاهدين :

يابن الكرام ألا تدنوا فتبصر ما   قد حدثوك فما راءٍ كمن سَمِعا

وأما أبوه رضى الله عنه فهو حجة الإسلام ومصباح الظلام حامى الشريعة ومحيى هذه الطريقة بعد خبو أنوارها ورافع بنيانها ومنارها بعد هدم أساسها القدوة الأورع الآخذ بالأحوط السميذع من جمع به ماتشتت وتفرق المولى فى أكابر رجال هذه الطريقة المثلى الشيخ الأكبر والولى الكبير الأشهر الصوفى السنى شيخنا ومولانا الحاج عبد الله بن السيد محمد وهذا الشيخ محرر جميع الفنون مابين الفروع والأصول لا سيما الكتاب والحديث وقد وقفت على كتاب لصاحب الترجمة رضى الله عنه يقول أن الوالد هذا قد فسر القرآن لرجال ماينيف على مائة مرة وقد حج وزار وجاهد فى الله أحسن مجاهدة ونبه عيون النائمين ومن بركة هذا السيد الجليل أتانا كل خير وفضل وسعادة فجزاه الله عنا خيرًا ومناقبه وقوته في الدين وزهده وورعه أكثر من أن تُعد وتُحصى نفعنا الله به وجميع أودائنا النفع الحقيقى وأفاض علينا بركاته ونفحاته إلى يوم الدين آمين يارب العالمين .

وأما أمه رضى الله عنها فهى الدرة اليتيمة الثمينة والجوهرة النفيسة الصالحة الناسكة الصادقة الفاضلة النجيبة الواقفة بحقوق الربوبية فى الحال والمقال ذات السيرة السنية والمآثر السنية والأعمال الصالحة

والأفعال المرضية المشكورة ذات البركة الغزيرة والأنوار الساطعة الراسخة التمكين واليقين والآخذة بالحبل المتين مولاتنا عائشة بنت السيد إبراهيم وهى رضى الله عنها مذ جعلها الله تحت يد والد هذا الشيخ إلى هلم جرا ما زالت معنية برضاه مجتهده فى البرور له ولم تفعل قط ما يغضبه أو يسوءه أو ما يغير خاطره أو خواطر الاخوان والجيران وما رفعت صوتها فوق صوته وكانت تفعل معه كل الجميل وتسعى فى كل مايرضيه ولم تخالفه فى شئ ما أصلا ومتى أشار إليها امتثلت ولم تزل معاشرتها هكذا حتى انتقل هو من هذه الدار إلى المقر الأسنى راضيا عنها شاكرًا لسعيها وقد شهد لها بذلك الخاصة والعامة والأحباب والأعداء وهى الآن فى قيد الحياة متعنا الله ببقائها آمين وقد أخبرنى من أثق بكلامه وهو السيد الأغر والعلامة العارف بالله الأكبر سيدى وأنيسى ابن الشيخ الحاج عبد الله أبو بكر بأن الوالدة هذه أخبرته مشافهة بأنها فى أول شهر من حمل هذا الشيخ رأت فى منامها كأنها واقفة على شئ وتحتها جب فإذا القمر قد انشق من جهة المشرق وسقط عليها وخافت على نفسها وفزعت جدًا لأجل ذلك وفى صباح تلك الليلة أتت لوالد هذا الشيخ وقصت عليه الخبر فزجرها عنه فقال لها دعى ذلك فاسكتى عنه واكتميه ولا تخاطبى أحدًا فى ذلك بعد وقد أخبرته أيضًا بأنها لما ولدته ناداها الوالد فقال لها ألك رجاء فى ابنك هذا قالت فقلت نعم فقال لها ومارجوتِ فيه قالت أرجوا فيه الخير وأنه يكون نجيبًا وفاضلا وبارًا إن شاء الله وقال لها الوالد نعم وأنا عزمت على ذلك وعالم به إن طول الله عمره ومتعنا ببقائه وقد أخبرنى مَن أثق بكلامه بأنه سمع من فم والد هذا الشيخ مشافهة يقول فى هذه الوالدة بأنه لابد تلد من يرثه وراثة كاملة تامة قال وإلا فلا يمكن ذلك لأحد بعد لأن النساء التى سلفن ليس

فيهن من هى أفضل منها وأما مناقبها وفضائلها وبرورها واحسانها وحسن خلقها مع كل مخلوق لله تعالى فكلمات إلهية لا تنفد ولا تفى بها وجوه الأوراق طول الأبد وهذا الذى قررنا هو ماسمح به الوقت لعدم الفراغ وجاءت به القريحة خوفًا من التطويل واحترازًا مما تعيا به العقول مع أن ماكتمنا بالنسبة إلى ماقررنا كنسبة قطرة ماء إلى البحر صونا للأسرار ولئلا تطلع عليها الأجانب ونرجوا من الله تعالى أن يعيننا فى وقت آخر بتأليف مستقل فى مآثر هذا الشيخ وماخصه الله به بين أبناء جنسه وأهل عصره وما ذلك على الله بعزيز وأسأل الله تعالى متوسلا بحضرتى النبوة والولاية وبالحرف المنفصل والمتصل أن ينفعنا وجميع أحبائنا واخواننا بهذا الشيخ نفعًا خاصًا عامًا تالدًا أبد الآباد وعادت علينا نفحاته وبركاته وأفاض علينا بحور فيوضاته وامداداته آمين يارب العالمين .

ووافق الفراغ من هذه النبذة ضحى يوم الأربعاء لإحدى عشرة بقت من ذى الحجة الحرام عام ١٣٥٢ بمدينة كولخ عمرها الله وحرسها آمين .

وقيدها الفقير إلى الله تعالى الراجى من المولى كمال الصفاء والارتقاء إلى درجات النجباء على سيس بن السيد الحسن بن عندل بن السيد إبراهيم رضوان الله عنهم أجمعين .

° ° °

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين من أفاض على أوليائه بحور الأنوار ، واختصهم بصفاءِ الأحوال والأسرار ، وشغلهم بذكره بالعشى والإبكار ، وجمعهم فى شمل الحبيب المختار ، وتعرف لهم فعرفوه فخرجوا من دائرة الجهل والإنكار ، واختارهم لخدمته ومحبته وصحبة أصفيائه الأبرار ، وجذبهم إلى حضرة قدسه فهاموا فى مطالعة الجلال ، ومعاينة الجمال ، فغابوا عنها بشهود الكمال ، والصلاة والسلام على الوسيلة الأعظم ، وعين المعارف الأقوم ، المتجلى له بكمال الذات ، فصار مرتبة جامعة للأسماء والصفات ، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته الهادين المهتدين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، خصوصًا سبطه ووارث أسراره ممد الأقطاب والأولياءِ والعارفين ، ومستند الأكابر والصلحاءِ والشهداء والبدلاءِ والصديقين ؛ (أما بعد) فيقول العبد الفقير المضطر إلى رحمة مولاه الرحيم ، الجاهل المعترف بجهله وقصوره ابن (الشيخ الحاج عبد الله إبراهيم) لا يزال بفضل مولاه فى جمال جلاله يهيم ، قد كثر فى هذه البلاد لكثرة الجهل والبلادة والحسد والعناد ، الإنكار على أهل الفيضة التجانية المهديون إلى نهج الرشاد وماهو إلا الإنكار على شيخهم الهادى الممد للعباد ، منذ ظهور هذه الفيضة التجانية ، الأحمدية المحمدية ، الإبراهيمية الحنيفية ، بمحض فضل الحضرة الرحمانية ، فتصاممت عنهم مليًا ، وإن كان ما يأتون به شيئًا فريًا ، لكونى من جملة حزب الفيضة ، جعلنا الله ممن لا يساوى الأقطاب منهم البيضة ، مخافة الرد عنى والانتصار للنفس ، مكتفيًا بمدافعة حضرة القدس فهى تدافع عن نفسها وعن

المؤمنين بها ، جعلنا الله من عبيدها المستندين لها ، إلى أن مر برهة من الزمان ، وهم على ماهم عليه من الإنكار والزور والبهتان ، فسنح لى أن أجمع شيئًا من كلام الأيمة الأجلاء ، فى بيان مذاهب الأصفياء ، فاستعنت بالله تعالى وشرعت فى تأليف هذا الكتاب الميمون ، مستمدًا من فيض حضرة شمس الدين ، مولانا التجانى صاحب المقام المكين ، إذ الرد عليهم رد عن الشيخ الختم التجانى إذ هو صاحبها ومفيضها على الأصحاب ، بواسطة جده من حضرة رب الأرباب ، فصار فرضًا على واجبًا لكونى خديمًا لذلك الجناب ، ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب فى كل باب ثلاثة فصول وخاتمة (المقدمة) فى تحرير وجه الصواب ؛ فى قوله الشيخ زروق عن شيخه الحضرمى قد انقطعت التربية بالاصطلاح الخ « الباب الأول » وفيه ثلاثة فصول : (الفصل الأول) فى حقيقة التصوف وأصل تلقين الأذكار (الفصل الثانى) فى فضيلة الذكر وأنه أقرب الطرق إلى الوصول إلى الله (الفصل الثالث) فى الاجتماع للذكر وقراءة القرآن « الباب الثانى » وفيه ثلاثة فصول : (الفصل الأول) فى ذكر الفيضة التجانية وما قال صاحبها رضى الله عنه وما قال رجال طريقته فيها بعده وما يؤيده من الكتاب والسنة (الفصل الثانى) فى أن علوم الأذواق المستند فيها على الكتاب والسنة (الفصل الثالث) فى مدار التربية فى الطريقة التجانية « الباب الثالث » وفيه ثلاثة فصول : (الفصل الأول) فى التحذير من الإنكار ومن يجوز له (الفصل الثانى) فى وجوب طلب الشيخ المربى وصفته وحال المريد معه (الفصل الثالث) فى تحقيق الرؤية التى تدعى الرجال وما قال العلماء فى رؤية ذات البارى جل وعلا « الخاتمة فى مستندنا فى طريق الختم التجانى » وفى علومها وأسرارها وأسأل الله بلسان التضرع وخطاب التذلل أن

يكون خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفعني وينفع به إخواني المؤمنين إلى يوم الدين وسميته (كاشف الإلباس ، عن فيضة الختم أبي العباس) وهذا أوان الشروع في المقصود ، بعون الملك المعبود ، فأقول وبالله التوفيق ، وهو الهادي بمنه إلى سواءِ الطريق .

* * *

مقدّمة

قال سيدى زروق فى تأسيس القواعد مانصه : قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه : ارتفعت التربية بالاصطلاح ، ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال ، فعليكم باتباع الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان الخ ما سيأتى قريبا ، وهذا الكلام لا يفهمه من لاذوق له ولاعلم ولا صدق بأن التربية انقطعت انقطاعا كليا ، وذلك فى المائة التاسعة ، ولم يرد ذلك زروق ولا شيخه ، وإنما مراده كما قال ابن عجيبة العلاّمة ، شارح الحكم فى إيقاظ الهمم ، ونصه : فإن قلت قد قال الحضرمى : قد انقطعت التربية بالإصطلاح ومابقى إلا الهمة والحال ، فعليكم بالكتاب والسنة . قلت : لم يقصد الحضرمى انقطاعها على الأبد . وحاشا الحضرمى من أن يتحكم على الله ويعجز قدرته ، ما أراد أن فى زمانه مدّعين كثيرين ، فحذّر أهل زمانه منهم ؛ ومعرفة الحضرمى وزروق رضى الله عنهما تنافى هذا القصد ، وعلى تقدير صدورها منهما فليسا بمعصومين ، فكل كلام يُردّ ويقبل إلا كلام صاحب الرسالة ﷺ ، وقد وجد بعد الحضرمى رجال كانوا من أهل التربية النبوية بالحال والمقال والهمة لا يمكن عددهم ، وهم موجودون فى زماننا هذا ، مشهورون كنارٍ على عَلَم ، قد هدى الله على أيديهم خلقا كثيرا ، وخرّج على أيديهم من الأولياء مالا يعلمهم إلا مَنْ مَنَّ الله عليه بمعرفتهم اهـ منه بلفظ مؤلفه .

ومما يؤيد صاحب الإيقاظ أن القولة صدرت منهما فى القرن التاسع وقبل بروز الختم التجانى حامل راية التربية ، ولا يشكّ فى كونه مربيا من له أدنى تصديق أو تسليم ، وكذلك الشيخ (السيد المختار الكنتى) ومن تخرّج على يديهما من الرجال الكمل الذين بلغوا مبلغ الشيوخ المربين المرقين .

وقد قال العلامة العارف بالله سيدى (عبيدة بن محمد الصغير مؤلف كتاب ميزان الرحمة) فى مدح الشيخ التجانى رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين :

بلا خلوة ربى وربوا بخلوة فشتان مابين اليزيدين منهلا

قال السيد العربى بن السائح رضى الله عنه : ومرادنا من كون التربية فى هذه الطريق خالية عن التزام الخلوة والاعتزال عن الناس ونحو ذلك مما فيه تشديد على النفس ، وتضييق التنبيه على أن التربية فيها جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأوّل ، التى هى الطريقة الأصلية ، وهى طريقة الشكر والفرح بالمنعم سبحانه والرياضة القلبية لا على الطريقة الأخرى التى استنبطها واصطلح على التسليك بها من بعد القرون الثلاثة نظرًا لما اقتضته العوارض الوقتية ، وهى طريقة المجاهدة والمكابدة والرياضة البدنية ، وفرق بينهما ، فإن السير فى الأولى سير القلوب ، وفى الثانية سير الأبدان ، ومعلوم أن الأهمّ الذى عليه المدار فى طريق الوصول إلى حضرة الله تعالى هو سير القلوب بالنظر فى أحوال القلب وما يصلحه وما يفسده على سنن الاعتدال والتقييد بالشريعة المطهرة والسنة الشريفة المنوّرة ، لا على التضييق على النفس بالتقشف والاستخشان فى المأكل والملبس والكدّ والتعب من غير التفات إلى أحوال القلب على الحدّ الذى تقرّر ، وإنما آثر من بعد القرون الثلاثة

السليك بالطريقة الثانية لما كثرت الأهواء وتشعبت الآراء ، فاستعانوا بذلك على تطهير النفس وتزكيتها ليستنير القلب ويتخلص من كدرات الهوى ، وقد حذروا مع ذلك من الغلوّ فيه بالخروج عن حدّ الإتباع إلى حدّ الابتداع .

قال الشيخ أبو عبد الله بن عباد : وليس طريق تزكية النفس بقطع جميع الأرفاق عنها وردّها إلى الاجتزار بأكل الحشيش والنخالة والمبالغة فى التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصوده وإرادته ، وترك الالتفات إلى ما يمدح منها وما يذمّ ، فذلك كله غلوّ وبدعة ، وقد غلط فى هذا طوائف من الناس عملوا عليه فى رياضتهم ومجاهدتهم ، ولم يقصدوا بذلك إخلاص العبودية لربهم ، فأدّاهم ذلك إلى اختلال عقولهم ، وانحلال قوى أبدانهم ، ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة ، وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف الأمة ا هـ .

وقال أيضا أبو المواهب السيد العربى بن السائح فى الجواب الشافى مانصه : والقائمون بأعباء التربية فى طريقتنا - والحمد لله - كثيرون ، لم يخلُ منهم منذ توفى سيدنا الشيخ رضى الله عنه قطر ولا زمان ، بل ظهر منهم عدد فى حياته رضى الله عنه ، إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لما لا يخفى من حكم الوقت فلا يعثر عليهم إلا من قيض الله تعالى له الانتفاع بهم ، وذلك لما خصوا به ببركة أستاذهم من حالة الكمال المسماة عند المحققين من أهل هذا الشأن بالغيرة على الحقّ ، وهى كتمان السرائر والأسرار ، وهى حالة الأخفياء الأبرياء من الملامتة المجهولة حقائقهم ، فلا يظهر منهم أمر يعرف به أن لله عناية بهم ، لأنهم جارون مع العامة على ماعليه العامة من ظواهر الطاعات التى لم تجر العادة أن يسموا بها من أهل الله تعالى ، وهذا أمر أقامهم الله تعالى فيه ، وفضيلة حلاهم بها شعروا أو لم يشعروا ا هـ .

وقال أيضا كما فى البغية بعد كلام : ومحصل هذه المسئلة أن أهل هذه الطريقة المحمدية يوجد فى أفرادها من يفتح له فى التربية بها : أى بتلقين وردها وجميع أذكارها بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة ، بحيث لا يخرج عما حدّه الشيخ فى ذلك مما تلقاه عن النبى ﷺ لأنها طريق محمدية أعطاها النبىّ ﷺ للشيخ منه إليه ، وضمن لأهلها ما ضمنه من الأسرار والخيرات والبركات ، ولا سبيل إلى الخروج عما أعطاه النبىّ ﷺ وترتب ضمانه عليه ، فافهم ذلك ، وفى هذا القدر الذى نبهنا عليه من ذلك هنا كفاية والله ولىّ التوفيق والهداية .

وذكر شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الختم التجانى رضى الله عنه مايدلّ على أن فى طريقته وتلامذته مشائخ التربية فى قوله الثابت عنه ، ونصه كما فى الجامع : إذا فتح الله على أصحابى فالذى يجلس منهم عندى فى البلد الذى أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك ، فقال له بعض أصحابه : منك أو من الله ؟ فأجابه : من الله من غير اختيار منى ، ذكر هذا فى يوم الأحد الثانى من شهر الله شعبان عام ١٢٢٤ ثم قال فى يوم الاثنين : الخوف المذكور هو على من أذن له من أصحابى فى التصرف والتربية للخلق اهـ المراد بلفظه .

ونصّ كلام سيدى زروق كما فى تأسيس القواعد : خاتمة ؛ قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه : ارتفعت التربية بالاصطلاح ولم يبقَ إلا الإفادة بالهمة والحال ، فعليكم باتباع الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان وذلك جار فى معاملة الحقّ والنفس والخلق ، فأما معاملة الحق فثلاث : إقامة الفرائض ، واجتناب المحرمات ، والاستسلام للحكم . وأما معاملة النفس فثلاث : الإنصاف بالحقّ ،

وترك الانتصار لها ، والحذر من غوائلها فى الجلب والدفع والردّ والقبول والإقبال والإدبار . وأما معاملة الخلق فبثلاث : توصيل حقوقهم لهم ، والتعفف عما فى أيديهم ، والفرار مما يغير قلوبهم إلا فى حقّ واجب لا محيد عنه ، وكل مريد مال لركوب الخيل أو آثار المصالح العامة ، أو اشتغل بتغيير المنكر فى العموم أو التوجه للجهاد دون غيره من الفضائل أو معه حال كونه فى فسحة منه ، أو أراد استيفاء الفضائل أو تتبع عورات إخوانه وغيرهم أو متعللا بالتحذير أو عمل بالسماع على وجه الدوام أو أكثر الجمع والاجتماع لا لتعلم أو تعليم أو مال لأرباب الدنيا بعلة الديانة أو أخذ بالرقائق والدقائق دون المعاملة ، وما ينبه عن العيوب ، أو تصدّى للتربية من غير تقديم شيخ أو إمام أو عالم ، أو اتباع كل ناعق وقائل بحق أو باطل من غير تفصيل لأحواله ، أو إستهان منتسبا لله وإن ظنّ عدم صدقه بعلامة أو مال للرخص أو التأويلات ، أو قدّم الباطن على الظاهر ، أو اكتفى بالظاهر عن الباطن ، أو أتى من أحدهما بما لا يوافق عليه الآخر ، أو اكتفى بالعلم عن العمل ، أو بالعمل عن الحال والعلم ، أو بالحال عنهما ، ولم يكن له أصل يرجع إليه فى علمه وعمله وحاله وديانته من الأصول المسلمة فى كتب الأئمة ككتب ابن عطاء الله فى الباطن ، وخصوصا التنوير ، ومدخل ابن الحاج فى الظاهر ، وكتاب شيخه ابن أبى جمرة ومن تبعهما من المحققين ، فهو هالك لانجاة له ، ومن أخذهما فهو ناج مسلم إن شاء الله ، والعصمة منه والتوفيق .

« وقد سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ - الآية ، فقال : إذَا رأيْتَ شُحًا مُطاعًا ، وَهَوًى مُتَّبعًا ، وإعْجابَ كُلِّ ذِى

رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَّةِ نَفْسِكَ »(١) . وقال عليه الصلاة والسلام في صحف إبراهيم « وَعَلَى العاقِلِ أَنْ يَكُونَ عارِفًا بِزَمَنِهِ ، مُمْسِكًا لِلِسانِه ، مُقْبِلاً على شأنِهِ ، وَعلى العاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْبَعُ ساعات : ساعَةٌ يحاسِبُ فِيها نَفْسَهُ ، وَساعَةٌ يُناجِي فيها رَبَّهُ ، وَساعَةٌ يُفْضِي فِيها إِلى إِخْوانِهِ الَّذِينَ يُبَصِّرُونَهُ بِعُيُوبِهِ وَيَدُلُّونَهُ على رَبِّهِ ، وَساعَةٌ يخلِّي فيها بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ شَهَواتِها المُباحَةِ » أو كما قال : رزقنا الله ذلك وأعاننا عليه ، ووفقنا ، وصحبنا بالعافية فيه ، فإنه لا غنى لنا عن عاقبته ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ١٢١/٤ ح رقم ٤٣٤١ حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود العتكي ثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم قال حدثني عمرو بن جارية اللخمي حدثني أبو أمية الشعباني قال سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت : يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية « عليكم أنفسكم » قال أما والله لقد سألت عنها خبيرًا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك - يعني بنفسك - ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام [الصبر] الصبر فيه مثل قبض على جمرة للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » وزاد في غيره قال : يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال أجر خمسين منكم » وسكت عنه أبو داود . طبعة دار الحديث القاهرة .

وأخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب التفسير في سورة المائدة جـ ٥ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ رقم ٣٠٥٨ - حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عتبة بن أبي حكيم إلى آخر سند أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ط / دار الحديث بالقاهرة تحقيق إبراهيم عطوة .

وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ ١٣٣٠/٢ - ١٣٣١ ح رقم ٤٠١٤ حدثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد حدثني عتبة بن أبي حكيم إلى آخر سند أبو داود ولفظه ط عيسى الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

وسلم تسليما . ومن تأمل كلامه بنفسه من أوّله إلى آخره عرف وجه المراد ، ولذا قال العارف بالله السيد العربى بن السائح : والمراد بالتربية فى هذا المحطّ هو التربية بالاصطلاح الذى أحدثه من بعد أهل القرون الثلاثة ، وهى التى ذكر الشيخ زروق عن بعض أشياخه أنها انقطعت ، وتابعه على ذلك المحقق اليوسى رحمه الله تعالى ، وليس المراد عندهم أن التربية بمعنى الإرشاد بالكتاب والسنة وتلقين الذكر ونحوه ، مما يزيح الباطل من النفس ، ويقطع العلائق والعوائق عنها بسبب استعانتها على ذلك بمدد الشيخ وهمته على حسب ما أذن له من حضرة الله فى سرّه ، أو حضرة رسوله ﷺ يقظة أو مناما قد انقطعت ، حاشا أهل الله من ذلك ، وانظر الذهب الإبريز ، انتهى كلامه بلفظه .

ونصّ كلام الشيخ عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه فى الذهب الإبريز فى الجواب عن المسئلة : إن المقصود من التربية هو تصفيه النفس وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السرّ ، وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها ، وقطع علائق الباطل عن وجهتها ، ثم قطع الباطل عنها تارة يكون بصفائها فى أصل خلقتها بأن يطهرها الله بلا واسطة ، وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون ، فقد كان الناس فى تلك القرون متعلقين بالحقّ باحثين عليه ، إذا ناموا ناموا عليه ، وإذا استيقظوا استيقظوا عليه ، وإذا تحركوا تحركوا فيه حتى إن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله ورسوله ، باحثة عن الوصول إلى مرضاته ، فلهذا كثر فيهم الخير ! وسطع فى ذواتهم نور الحقّ ، وظهر فيهم من العلم والبلوغ درجة الاجتهاد مالا يكيف ولا يطاق ، فكانت التربية فى هذه القرون غير محتاج إليها ، وإنما يلقى الشيخ مريده وصاحب سرّه ووارث نوره ، فيكلمه فى أذنه فيقع الفتح

للمريد بمجرّد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوّقها إلى نهج الرشاد ، وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه : أعنى قطع الظلام من الذوات ، وذلك فيما بعد القرون الفاضلة ، حيث فسدت النيّات وكسدت الطويات وصارت العقول متعلقة بالدنيا ، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات واستيفاء اللذّات ، فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثه فيعرفه ، وينظر إليه فيجد عقله متعلقا بالباطل ونيل الشهوات ، ويجد ذاته تتبع العقل فى ذلك ، فتلهو مع اللاهين وتسهو مع الساهين وتميل مع المبطلين ، وتتحرّك الجوارح فى ذلك حركة غير محمودة من حيث إن العقل الذى هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحقّ ، فإذا وجده على هذه الحالة أمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل ، فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم فى عداد الموتى ، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذى كان فى لسانه ، وبتقليل الأكل يقلّ البخار الذى فى الدم فتقلّ الشهوة ، فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله ، فإذا بلغ إلى هذه الطهارة والصفاء ، أطاقت ذاته حمل السرّ ، فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة ، ثم بقى الأمر على هذا مدة إلى أن اختلط الحقّ بالباطل والنور بالظلام ، فصار أهل الباطل يربون من يأتيهم بإدخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحقّ ، وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات ، تفضى بهذا إلى مكر من الله تعالى واستدراجات ، وكثر هذا الأمر فى الأعصار التى أدركها الشيخ زروق رضى الله عنه وأدركها شيوخه ، فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية التى كثر فيها المبطلون ، وأن يقفوا بالناس فى ساحة الأمن التى لا خوف فيها ولا حزن ، وهى اتباع السنة والكتاب اللذين لا يضلّ من اهتدى بهما ،

كلامهم رضى الله عنهم خرج مخرج النصيحة والاحتياط ، ولم يريدوا رضى الله عنهم الانقطاع رأسا للتربية الحقيقية ، وحاشاهم من ذلك ، فإن نور النبى ﷺ باق وخبره شامل وبركاته عامة إلى يوم القيامة اهـ .

قلت : والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيها إشارات وتصريحات في التبشير بهذه الطائفة الظاهرين على الحقّ ولم تخصّ بزمان دون زمان ، ولا مكان دون مكان ، وقال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨١] قال الشيخ العلاّمة العارف بالله سيدى الصاوى فى حاشيته على قول الجلال : وهم أمة محمد ﷺ كما فى الحديث : أى وهو قوله ﷺ « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ على الحقّ إلى أنْ يأتِىَ أمْرُ الله »(١) . وعن معاوية قال وهو يخطب :

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الاعتصام (١٠) باب قول النبى ﷺ لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل علم ح رقم ٧٣١١ حدثنا عبد الله بن موسى عن إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » ط مكتبة الإيمان بالمنصورة أمام جامعة الأزهر سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب قوله ﷺ لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ١٥٢٣/١ ح رقم ١٩٢٠ - حدثنا سعيد بن منصور وأبو الربيع العتكى وقتيبة بن سعيد قالوا حدثنا حماد وهو ابن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وليس فى حديث قتيبة وهم كذلك » .

وفى الباب عن معاوية بلفظ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس . ط / عيسى الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٥/٤ ح رقم =

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِى أُمَّةٌ قائمَةٌ بأمْرِ الله لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حتّى يأتِىَ أمْرُ الله وَهُمْ على ذلكَ » وهذه الطائفة لا تختصّ بزمان دون زمان ، ولا مكان دون مكان ، بل هم فى كل مكان وفى كل زمان ، فالإسلام دائما يَعلو ولا يُعلَى عليه ، وإن كثر الفُساق وأهل الشرّ فلا عبرة بهم ولا صَولة لهم ، وفى هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية بأن الإسلام فى علوّ وشرف وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة حتى تموت حملة القرآن والعلماء ، وينزع القرآن من المصاحف وتأتى الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرّة من الإيمان ، ولا يكون هذا الأمر إلا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام اهـ . قلت : وفاة عيسى لا تكون إلا بعد أن يقتل الدجال ويعيش أربعين عاما . كما تكرّرت فى ذلك الأحاديث ، ولا يأتى الدجال إلا بعد المهدى بسبع سنين على رأس مائة ، وفى رواية « لا تَزَالُ طائِفَةٌ بالمَغْرِب الخ » . قال محيى الدين بن العربى الخاتمى : وإنما جعله الله بالمغرب ، يعنى مقام الختمية والكتمية لأنه محل الأسرار والكتم ، وانظر الفتوحات وانظر كتابه الذى سماه « عنقاء مغرب فى ختم الأولياء وشمس المغرب » انظر البغية ، وقال تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ

= ٤٢٥٢ - من طريق محمد بن عيسى وسلمان بن حرب قالا ثنا حماد بن زيد عن أيوب إلى آخر طريق مسلم ولفظه إلا أنه جزء من حديث طويل .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن باب ما جاء فى الأئمة المضلين ح رقم ٢٢٢٩ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد إلى آخر طريق مسلم ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٧٩/٥ مسند ثوبان رضى الله عنه من طريق يونس ثنا حماد يعنى ابن زيد عن أيوب إلى آخر سند مسلم ولفظه ط بيروت لبنان .

ﭐلْآخِرِينَ ﴾ [سورة الواقعة : ٣٩ - ٤٠] . وروى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الثُّلُثَانِ مِنْ أُمَّتِى » [(١)] انظر الجواهر الحسان ، وفى نسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجى عند شرحه لحديث « خَيْرُكُم قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » [(٢)] بعد كلام فلا ينافيه حديث « أُمَّتِى كَالْمَطَرِ

---

(١) أخرجه الإمام ابن جرير الطبرى فى تفسيره جامع البيان عن تأويل آى القرآن سورة الواقعة قوله تعالى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين - حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبان بن أبى عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » قال قال النبى ﷺ : هما جميعًا من أمتى .

وفى تفسير الآية قال ابن جرير وقد صح عن النبى ﷺ ومن وجه صحيح قال قال النبى ﷺ الثلثان جميعًا من أمتى ، طبعة مصطفى الحلبى وأولاده بمصر الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ - سنة ١٩٦٨ م .

وأورده الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد كتاب التفسير باب سورة الواقعة ١١٨/٧ - ١١٩ عن أبى بكرة عن النبى ﷺ فى قوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال جميعهما من هذه الأمة وعزاه الهيثمى إلى الطبرانى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير على بن زيد وهو ثقة سيئ الحفظ . ط القدسى .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ١٦١/٢ ح رقم ٢٦٥١ حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا أبو جمرة قال سمعت آدم زهدم بن مضرب قال سمعت عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . قال عمران لا أدرى أذكر النبى ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة قال النبى ﷺ « إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن ، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ باب فضائل أصحاب النبى ﷺ ومن صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ص ٤٢٦ ح ٣٦٥٠ - حدثنا - إسحاق حدثنا النضر أخبرنا شعبة إلى آخر الطريق السابق وبلفظ خير أمتى قرنى ..... الخ .

كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ١٨١/٤ ح رقم ٦٤٢٨ - حدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة قال سمعت أبا جمرة إلى آخر الطريق الأول ولفظه .

وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة =

لا يُدْرَى الخَيْرُ فى أَوَّلِهِ أَمْ فى آخِرِهِ »(١) فإن هذا من واد ؛ وذلك من واد آخر ، وهذا إشارة إلى أنه قد يجئ فى الأمة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه ، وهذا بالنظر لأفراد مخصوصة ، وذلك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ، ولذا عبر بالقرن ، انظر نسيم الرياض .

وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فى تأسيس القواعد : النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيث أصل شرعى أمر جاهلى ، حيث قال الكفار

= ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ١٩٦٤/٤ ح رقم ٢٥٣٥ حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن المثنى وابن بشار جميعا عن غندر قال ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا جمرة إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر ١٧/٧ - ١٨ - أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا خالد قال حدثنا شعبة .... به

وأخرجه أحمد فى مسنده ٤٣٦/٤ من طريق يحيى بن سعد حدثنا شعبة حدثنى أبو جمرة ... به .

وأخرجه الطحاوى فى شرح معانى الآثار كتاب القضاء والشهادات باب الرجل يكون عنده الشهادة للرجل هل يجب عليه أن يخبره بها وهل يقبله الحاكم على ذلك أم لا ؟ ١٥١/٤ - حدثنا ابن مرزوق قال ثنا بشر بن ثابت البزار قال ثنا شعبة .... به

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٣٣/١٨

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأمثال باب رقم ٦ جـ ٥ ص ١٥٢ ح رقم ٢٨٦٩ - حدثنا قتيبة . حدثنا حماد بن يحيى الأبح عن ثابت البنانى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ، وقال أبو عيسى وفى الباب عن عمار وعبد الله بن عمر وابن عمر وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ١٣٠/٣ مسند أنس بن مالك رضى الله عنه حدثنا الحسن الأشيب ثنا حماد بن يحيى حدثنا ثابت البنانى عن أنس ثم ذكره بمثل رواية الترمذى .

، ص ١٤٣ بنفس الطريق واللفظ .

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ فرد الله تعالى عليهم بقوله : الآية ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [سورة الزخرف : ٣١] الآيـة : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٢] فرد الله عليهم بقوله : ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٤] الآية ، فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقت ولا شخص ، إلا من خصه قوله تعالى به ، والأولياء فى ذلك تبع للأنبياء ، لأن الكرامة شاهد المعجزة ، والعلماء ورثة الأنبياء فى الحرمة والرحمة وإن تباينا فى أصل الفضل فافهم اهـ منه .

وقد قال شيخنا ووسيلتنا وقوت أرواحنا وممدّنا ، القطب الغوث الخاتم المحمدى فى قوله تعالى ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ [سورة الواقعة : ٤٠] هم أصحابنا ، انظر بعين الإنصاف تجد له تمام الوراثة حتى صارت فى الأمة الثلتان ، ثلة لجدّه وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، وثلة له وهم أصحابه رضى الله عنه ، وبقى من الإشارات ما أحجم قلمى عن كتبه .

وفى السرّ أسرار دقاق لطيفة   تراق دمانا جهرة لو بها بُحنا

وبهذا تعلم أن انقطاع مدد النبىّ ﷺ أو انتقاص نور نبوّته لا يقوله من له أدنى مرتبة من مراتب الإيمان .

وقال شيخنا رضى الله عنه كما فى الجامع والجواهر : اعلم أنه كان ﷺ يلقى الأحكام العامة للعامة فى حياته : يعنى إذا حرّم شيئا حرّمه على الجميع ، وإذا افترض شيئا افترضه على الجميع ، وكذلك سائر الأحكام الشرعية الظاهرة ، ومع ذلك كله كان ﷺ يلقى الخاصة للخاصة ، وكان يخص بعض الأمور ببعض الصحابة دون بعض وهو

شائع ذائع في أخباره ﷺ ؛ فلما انتقل إلى الدار الآخرة وهو كحياته في الدنيا سواء ، صار يلقى إلى أمته الأمر الخاصّ للخاصّ ولا مدخل للأمر العام للعامّ ، فإنه انقطع بموته ﷺ وبقى فيضه للأمر الخاصّ للخاصّ ، ومن توهم أنه ﷺ انقطع جميع مدده على أمته كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبيّ ﷺ ، وأساء الأدب معه ، ويخشى عليه أن يموت كافرًا إن لم يتُب من هذا الاعتقاد ، اهـ منه بلفظه .

وهذا آخر المقدِّمة ، والحمد لله ربّ العالمين ، وسيأتى مزيد بيان في المسئلة عند الكلام على شيخ التربية وصفته إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

البَابُ الأول

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

وهو الأول من فصول الكتاب
فى حقيقة التصوّف وأصل تلقين الأذكار

فأقول وبالله التوفيق ، وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :
التصوّف : له حدّ وموضوع وواضع واسم واستمداد وحكم ومسائل وفضيلة ونسبة وثمرة . وقال الصاوى : ينبغى لكل شارع فى فن أن يعرف مباديه العشرة الخ ، وقد نظمها بعضهم فقال :

الحدّ والموضوع ثم الواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصوّر المسائل الفضيله ... ونسبة فائدة جليله
حق على طالب علم أن يحيط ... بفهم ذى العشرة ميزها ينيط
يعلمها قبل الشروع فى الطلب ... لكى يكون مبصرا بما طلب

وأما حدّه : فكما قال زروق رضى الله عنه : قد حدّ التصوّف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين ترجع كلها إلى صدق التوجه إلى الله تعالى ، وإنما هى وجوه فيه ، والله أعلم . وفى (إيقاظ الهمم) قال الجنيد : هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به . وقال أيضا : أن تكون مع الله بلا علاقة . وقيل الدخول فى كل خلق سنىّ والخروج من كل خلق دنىّ . وقيل أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم مع قوم كرام .

وقيل أن لا تملك شيئا ولا يملكك شئ . وقيل استرسال النفس مع الله على ما يريد . قال بعضهم .

ليس التصوّف لبس الصوف والخلق
بل التصوّف حسن السمت والخُلق

وقال غيره :

ليس التصوّف لبس الثوب ترقعه
ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب
ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا
بل التصوّف أن تصفوا بلا كدر
وتتبع الحقّ والقرآن والدّينا

وغير ذلك مما يرجع كله إلى قول سيدى زروق .

وقال فى (إيقاظ الهمم) بعد كلام تقدّم ذكر طرف منه ناقلا لكلام سيدى زروق فى قول إمامنا مالك رحمه الله : من تصوّف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقّه ولم يتصوّف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، ونصه : قلت (تزندق الأوّل) لأنه قائل الجبر الموجب لنفى الحكمة والأحكام (وتفسق الثانى) لخلوّ عمله من صدق التوجه الحاجز عن معصية الله وعن الإخلاص المشترط فى الأعمال . (وتحقق الثالث) لقيامة بالحقيقة فى عين تمسكه بالحق ، فاعرف ذلك إذ لا وجود لها إلا فيها ، كما لا كمال له إلا به فافهم اهـ .

ثم قال : وأما موضوعه فهو الذات العلية لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها إما بالبرهان أو بالشهود والعيان ، فالأوّل للطالبين ، والثانى

للواصلين . وقيل : موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الأوّل ، ولأن من عرف نفسه عرف ربه .

وأما واضعه : فهو النبيّ ﷺ علمه الله له بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل عليه السلام أوّلا بالشريعة ، فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة ، فخصّ بها بعضا دون بعض ؛ وأوّل مَن تكلم فيه وأظهره سيدنا عليّ كرّم الله وجهه ، وأخذ عنه جميع الصوفية وسلسلتهم مشهورة فى كتبهم ، إلا أن سيدنا ومولانا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبا العباس أحمد بن محمد التجانى الحسنى منّ الله عليه بالأخذ عن النبيّ مشافهة من غير وساطة أحد من المشائخ ، وسندنا منه كما ستقف عليه بإذن الله فى هذا الكتاب .

وأما اسمه فعلم التصوّف ، واختلفوا فى اشتقاقه : قال فى (إيقاظ الهمم) ومرجعها إلى خمس : أوّلها أنه من الصوفة لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له . الثانى من صوفه القفا للينها ، فالصوفى هين لين كهى . الثالث أنه من الصفة ، إذ جملتها اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة . الرابع أنه من الصفاء ، وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستى رحمه الله فى الصوفى :

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا
جهلا وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

قلت : وهذا الوجه هو أوجه الأوجه عندى ، والله أعلم . الخامس

أنه منقول من صفة المسجد النبوى الذى كان منزلا لأهل الصفة ، لأن الصوفى تبع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [سورة الكهف] وهو الأصل الذى يرجع إليه كل قول فيه ، قاله الشيخ زروق رحمه الله .

وأما استمداده : فهو مستمدّ من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين ، وقد أدخلوا فيه أشياء من علم الفقه لمسّ الحاجة إليه فى علم التصوّف ، حرّرها الغزالى فى الإحياء الخ فى أربعة كتب : كتاب العبادات ، وكتاب العادات ، وكتاب المهلكات ، وكتاب المنجيات ، وهو فيه كمال لا شرط إلا مالابد منه فى باب العبادات ، والله تعالى أعلم .

وأما حكم الشارع فيه : فقال الغزالى : إنه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام . وقال الشاذلى : من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرًا على الكبائر وهو لا يشعر .

وأما تصوّر مسائله : فهى معرفة اصطلاحاته والكلمات التى تداولت بين القوم كالإخلاص والصدق والتوكل والزهد والورع والرضى والتسليم والمحبة والفناء والبقاء ، وكالذات والصفات والقدرة والحكمة والروحانية والبشرية ، وكمعرفة حقيقة الحال والوارد والمقام وغير ذلك .

وأما فضيلته : فقد تقدم أن موضعه الذات العلية وهى أفضل على الإطلاق ، فالعلم الذى يتعلق بها أفضل على الإطلاق ، إذ هو دالّ بأوّله على خشية الله تعالى وبوسطه على معاملته ، وبآخره على معرفته والانقطاع إليه ، ولذلك قال الجنيد : لو تعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى تتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه . وقال

الشيخ المقلى رضى الله عنه فى كتابه المسمى « بأنوار القلوب فى العلم الموهوب » قال : وكل من صدّق بهذا العلم فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لا يُدرك ، والبحر الذى لا يُنزف . وقال آخر : إذا رأيت من فتح له فى التصديق بهذا الطريق فبشره ، وإذا رأيت من فتح له فى الفهم فاغتبطه ، وإذا رأيت من فتح له فى النطق فيه فعظمه ، وإذا رأيت منتقدا عليه ففرّ منه فرارك من الأسد واهجره ، وما من علم إلا وقد يقع الاستغناء عنه فى وقت ما إلا علم التصوّف فلا يستغنى عنه أحد فى وقت من الأوقات .

وأما نسبته من العلوم : فهو كلى لها وشرط فيها ، إذ لا علم ولا عمل إلا بصدق التوجه إلى الله تعالى ، فالإخلاص شرط فى الجميع ، هذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب ، وأما باعتبار الوجود الخارجى فالعلوم توجد فى الخارج بدون التصوّف لكنها ناقصة أو ساقطة ، ولذلك قال السيوطى : نسبة التصوّف من العلوم كعلم البيان مع النحو - يعنى هو كمال فيها ومحسن لها . وقال الشيخ زروق رضى الله عنه : نسبة التصوّف من الدين نسبة الروح من الجسد ، لأنه مقام الإحسان الذى فسره رسول الله ﷺ لجبريل « أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنّكَ تَرَاهُ » الحديث (١) ، إذا لا معنى له سوى ذلك . إذ مداره على مراقبة بعد

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإحسان وعلم الساعة وبيان النبى ﷺ له ١/٥٤ - ٥٥ ح رقم ٥٠ حدثنا مسدد قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا أبو حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال كان النبى ﷺ بارزًا للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته . وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد =

مشاهدة ، وإما مشاهدة بعد مراقبة ، وإلا لم يقم له وجود ولم يظهر له

= الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال : ما الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولد الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لايعلمهن إلا الله ثم تلا النبى ﷺ « إن الله عنده علم الساعة » الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئًا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم قال أبو عبد الله : جعل ذلك كله من الإيمان .

كتاب التفسير سورة لقمان باب قوله : « إن الله عنده علم الساعة ٣/٢٤٨ ح رقم ٤٧٧٧ حدثنا إسحاق عن جرير عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى السابق ولفظه .

وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبرى ممن لا يؤمن بالقدر وأغلظ القول فى حقه ١/٣٩ ح رقم ٩ حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب جميعًا عن ابن علية قال زهير حدثنا اسماعيل بن إبراهيم عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وفى الباب بسنده عن عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الإسلام . ثم ذكره بنحو حديث البخارى

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٤/٢٢٢ - ٢٢٣ ح رقم ٤٦٩٥ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمثل رواية مسلم التى عن عمر .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان باب ماجاء فى وصف جبريل للنبى ﷺ الإيمان والإسلام ٥/٦ - ٧ ح رقم ٢٦١٠ عن عمر رضى الله تعالى عنه بمثل رواية مسلم وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المقدمة باب فى الإيمان ١/٢٥ ح رقم ٦٤ حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا إسماعيل بن عليه عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وفى الباب رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وأخرجه أحمد عن المسند ٢/٢٦ من طريق إسماعيل ثنا أبو حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

موجود فافهم اهـ . ولعله أراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الأثر بالله .

وأما فائدته : فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب ، أو نقول : ثمرته سخاوة النفوس وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق .

واعلم أن هذا العلم الذى ذكرنا ليس هو القلقلة باللسان ، وإنما هو أذواق ووجدان ، ولا يؤخذ من الأوراق ، وإنما يؤخذ من أهل الأذواق ، وليس ينال بالقيل والقال ، وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال ، والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح وبالله التوفيق اهـ منه بحذف وزيادة في بعض المواضع .

وقد سئل سيدنا ومولانا وأستاذنا السيد أبو العباس التجانى رضى الله عنه عن حقيقة التصوف ، فأجاب رضى الله عنه بقوله : اعلم أن التصوف هو امتثال الأمر واجتناب النهى فى الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى اهـ . قلت : ولا سبيل إلى هذا بدون مصاحبة شيخ مرشد كامل ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [سورة المائدة : ٣٥] والوسائل إلى الله كثيرة ، منها متابعة النبى فى أقواله وأفعاله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة لقمان : ٥] وفى الحديث [١] « فإذا أحببته كنته » وذلك باب المعرفة . ومنها مصاحبة العارف الواصل كما

(١) حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك عن عبد الله بن أبي نمير عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصره ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته . =

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [سورة لقمان : ١٥] ومنها ملازمة الأذكار ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] ومعلوم عند أهل الطريقة أن الذكر الذى ينفع صاحبه هو المأخوذ من المشائخ الكاملين .

وأما أصل تلقين الأذكار والأوراد ، فقد روى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد حسن والطبرانى وغيرهما عن يَعْلَى بن شدّاد قال : حدثنى أبى شداد بن أوس وعُبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : « كنا عند النبى ﷺ فقال : هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ ؟ : يعنى من أهلِ الكتاب ، فقلنا : لا يارسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : ارْفَعُوا أيدِيَكُمْ وَقُولُوا : لا إلَهَ إلاَّ الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم قال : الحَمْدُ لله اللَّهمَّ إنَّكَ بَعَثْتَنِى بِهَذِهِ الكَلِمَةِ وأمَرْتَنِى بِهَا وَوَعَدْتَنِى الجَنَّةَ عَلَيْهَا وَإنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ ، ثم قال : أبْشِرُوا فإنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكُمْ » (١) قال ابن حجر العسقلانى : رواه أحمد بإسناد حسن والطبرانى ، وزاد فيه « فرفع رسول الله ﷺ ورفعنا ،

= أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب التواضع ١٩٧/٤ ح رقم ٩٥٠٢ .

وأخرجه أحمد فى مسنده مسند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بلفظ من أذل لى وليا فقد استحل محارمى وماتقرب إلى عبدى بمثل أداء الفرائض ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه إن سألنى أعطيته وإن دعانى أجبته ما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن وفاته لأنه يكره الموت وأكره مساءته .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٢٤/٤ مسند شداد بن أوس رضى الله عنه حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا الحكم بن نافع وأبو اليمان قال ثنا إسماعيل بن عياش عن راشد بن داود عن يعلى بن شداد قال حدثنى أبى ثم ذكره .

أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٨٩/٧ - ٢٩٠ ح رقم ٧١٦٣ باب يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه - حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن =

وقال فيه : ثم قال : ضَعُوا أَيْدِيَكُمْ وأَبْشِرُوا فَقَدْ غُفِرَ لَكُمْ » . وروى الشيخ يوسف الكوزانى الشهير بالعجمى فى رسالته « أن عليّ بن أبى طالب سأل النبيّ ﷺ فقال يارسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى ؟ فقال ﷺ : ياعلى عَلَيْكَ بِمُدَاوَمة ذِكْرِ الله تعالى فى الخَلَوَات ، فقال عليّ : هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون ، فقال النبى ﷺ : (١) يا عليّ لا تَقُومُ السَاعَةُ وعلى وَجْهِ الأَرْضِ مَنْ يَقُولُ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، فقال على : فكيف أذكر يارسول ؟ فقال ﷺ : غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّى ثَلاثَ مَرَّاتٍ . ثُمَّ قُلْ أَنْتَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وأنا أَسْمَعُ ، فقال النبى ﷺ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ثلاث مرات مغمضًا عينيه رافعا صوته وعليّ يسمع ، ثم قال عليّ رضى الله عنه : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضًا عينيه رافعا صوته والنبى ﷺ يسمع » اهـ . والحديثان أوردهما صاحب الرماح ، ثم لقنهما عليّ للحسن البصرى ، ثم الحسن لحبيب العجمى ، ثم حبيب لداود الطائى ، ثم داود لمعروف الكرخى ، ثم معروف للسريّ ثم السريّ

= إسحاق التسترى قال ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الملك بن محمد الصغانى ثنا راشد ابن داود الصغانى إلى آخر سند الإمام أحمد وبنحو حديثه وعزاه الهيثمى فى المجمع ٨١/١٠ بعد أن نسبه إلى أحمد فقط وفيه راشد بن داود وثقه غير واحد وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات وقال أيضًا فى ج ١ ص ١٩ رواه أحمد والطبرانى والبزار ورجاله موثقون .

(١) لم أقف عليه عن على رضى الله عنه والذى وقفت عليه ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان فى آخر الزمان ١٣١/١ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن باب رقم ٣٥ ج ٤ ص ٤٩٢ عن أنس بنفس رواية مسلم وقال أبو عيسى هذا حديث حسن .

وأخرجه أحمد فى مسنده ١٠٧/٣ ، ٢٠١ عن أنس رضى الله عنه .

للجنيد ، ثم انتقلت إلى أرباب التربية إلى ماشاء الله ، وهما أصل تلقين الأوراد والأذكار إلى هلم جرا .

وأما وجوب طلب الشيخ المرشد كما سيأتى فقد أكثروا فيه . قال :

يصحب شيخا عارف المسالك

يقيه فى طريقه المهالك

لأنك إن أردتَ العلم والعمل فلابد لك منه ، وأما الإفادة بالهمة والحال فقد قال فى الشمائل : قال أنس : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شئ ؛ فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ ، وما نفضنا أيدينا من التراب وإنا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا . يشير إلى أن حضور شخصه ﷺ كان نافعا لهم فى قلوبهم ، وذلك هو المعبر عنه بالإفادة بالهمة والحال ، ومن المعلوم أن العلماء ورثة الأنبياء ، فلابد من طلب القرب منهم إذ قالوا : من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها . وقال فى الرسالة القشيرية : ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا ، هذا أبو يزيد يقول : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان وقد سئل سيدنا وأستاذنا أبو العباس أحمد بن محمد التجانى الشريف رضى الله عنه ونفعنا به دنيا وأخرى ، هل طلب الشيخ فرض على كل فرد فرد ؛ أو على البعض دون البعض ، وما السبب فى الكل ؟ فأجاب رضى الله عنه بما يأتى فى بابه مستوفى .

قال شيخ المشائخ العلامة العارف الربانى سيدى المختار الكنتى . وأما حقيقة الأوراد فإنها عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشائخ ، فمن بجل المشائخ وحافظ على العقود ووفى بالعهود كان له خير الدارين ، ومن تهاون بالمشائخ وفرط فى العقود والعهود كان ذلك سببا لزيغه وخرق سفينة دينه ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوۡفُوا۟ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [سورة المائدة : ١] وقال : ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مالا تَفۡعَلُونَ ﴾ [سورة الصف : ٣] وقال سبحانه ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣] الآية ، ولهذا المعنى كان النبيّ ﷺ لا يفعل فعلا من أفعال الخير إلا أثبته ودام عليه ، وذلك من علامات الجزم وتمام العزم ، وهذه الآيات هى أصول الأوراد من لدن النبى ﷺ إلى يومنا هذا قال النبيّ ﷺ « مَنْ كانَ على وِرْدٍ مِنْ صَلاةٍ أوْ صِيام أوْ غيْرِهما فَمَنَعَهُ مَرَضٌ أوْ سَفَرٌ أوْ هَرَمٌ كانَ لَهُ الأجْرُ تامًّا » وقال عليه الصلاة والسلام « بَجِّلُوا المَشائخَ فإنَّ تَبْجيلَهُمْ مِنْ تَعْظِيمِ جلالِ الله » (١) .

وهذا آخر الفصل الأوّل والله تعالى الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٩٣/٤ فى ترجمة صخر بن عبد الله الكوفى - ثنا عبد الله بن محمد بن إبراهيم المروزى ثنا عبد الله بن محمود المروزى ثنا صخر بن عبد الله الحاجبى بمرو ثنا الليث بن سعد عن الزهرى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ بجلوا المشايخ فإن تبجيل المشايخ من اجلال الله . وقال ابن عدى وهذا حديث موضوع على الليث بن سعد . ط دار الفكر .

وأخرجه ابن الجوزى فى كتابه الموضوعات كتاب المبتدأ باب اكرام الأشياخ ١٨٢/١ - أنبأنا محمد بن عبد الملك قال أنبأنا الجوهرى عن الدارقطنى عن أبى حاتم قال أنبأنا عبد الله بن محمد السعدى قال حدثنا صخر بن محمد الحاجى إلى آخر طريق ابن عدى ولفظه وقال ابن الجوزى قال ابن حبان لا تحل الرواية عن صخر وقال ابن عدى مايرويه منكر ومن موضوعاته . ط السلفية الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م وأخرجه ابن حبان فى كتابه المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٣٧٤/١ فى ترجمة صخر يروى عن الليث عن الزهرى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال بجلوا المشايخ... إلخ ط الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ تعليق محمود إبراهيم زيد .

الفصل الثانى

وهو الثانى من فصول الكتاب فى فضيلة الذكر

ولنقدّم كلام العلاّمة النووى رحمه الله فى الأذكار ، ونصّ كلامه : فصل قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ك ٣٥] وروينا فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « سَبَقَ المُفَرِّدُونَ ، قالوا وما المفرِّدون يارسول الله ؟ قال : الذَّاكِرُون الله كَثِيرًا وَالذَّاكِراتِ »(١) . قلت : روى المفرِّدون بتشديد الراء وتخفيفها ، والمشهور الذى قاله الجمهور التشديد .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله تعالى ٢٠٦٣/٤ ح رقم ٢٦٧٦ - حدثنا أمية بن بسطام العيشى حدثنا يزيد يعنى ابن زريع حدثنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان . سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال : « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب أى الكلام أحب إلى الله ٥/ ١٧ ح رقم ٣٥٩٦ - حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو معاوية عن عمرو ابن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله ؟ قال المُسْتَهتَرُون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافًا . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه أحمد فى المسند ٣٢٣/٢ ثنا أبو عامر ثنا على يعنى ابن المبارك عن يحيى يعنى ابن أبى كثير عن يعقوب قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ سبق المفردون قالوا يارسول الله ومن المفردون قال الذين يهتدون فى ذكر الله . =

واعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغى أن يهتم بمعرفتها صاحب هذا الكتاب ، وقد اختلف فى ذلك ، فقال الإمام أبو الحسن الواحدى : المراد يذكرون الله فى أدبار الصلوات وغدوًا وعشيا وفى المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما راح من منزله ذكر الله تعالى . وقال مجاهد : لا يكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا . وقال أيضا : أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمُحْدِث والجُنُب والحائض والنفساء وذلك بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ ، والدعاء وغير ذلك منه اهـ بلفظه .

وقال العلاّمة العارف الربانى سيدى أحمد زروق رضى الله عنه كما فى تأسيس القواعد مانصه : التزام اللازم للملزوم موصل إليه ، فمن ثم فضل الذكر غيره إذا ما أردت أن يلزمك فالزم ملزوميته ، وقد قال الله تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ﴾ ولا أعظم من هذه الكرامة ، وجعل لكل شئ حدًا ووقتا إلا ذكره تعالى إذ قال « ذِكْرًا كَثِيرًا - وَقِيامًا وَقُعُودًا وكَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا » . وقال رجل (١) « يارسول الله كثرت

= وأخرجه الإمام البغوى فى كتاب شرح السنة كتاب الدعاء باب فضل ذكر الله عز وجل ومجالس الذكر ١٨/٥ حديث رقم ١٢٤٧ - أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمى أنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ نا جعفر ابن أحمد بن على بن بيان بمصر نا سعيد بن كثير بن عفير نا ابن لهيعة . وروى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال سبق المفردون ثم ذكره بمثل رواية الإمام مسلم .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعاء باب فضل ذكر الله ٤٥٨/٥ ح رقم ٣٣٧٥ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الأدب باب فضل الذكر ١٢٤٦/٢ ح رقم ٣٧٩٣

على شعائر الإسلام فدلني على عمل أدرك به مافاتني ، قال : لا يَزَال لِسانُكَ رَطْبا بِذِكْرِ الله حتّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ » . والذكر منشور الولاية فمن أعطى الذكر أعطى المنشور .

قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه : وعليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ فهو سلم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إذا لم يلق الطالب شيخا مرشدًا ، فقد سمعت فى سنة ست وأربعين وثمانمائة فى الحرم الشريف رجلاً من الصالحين روى فى ذلك عن بعض أهل الصدق مع الله وكلاهما معين معروف روايتهما والله أعلم اهـ . وقال أيضا : كل ذكر واسم فخاصيته من معناه وتصريفه فى مقتضاه وسرّه فى عدده وإجابته على قدر همة صاحبه ، فمن ثم لا ينتفع عالم إلا بجلىّ واضح المعنى ، ولا جاهل إلا بخفىّ لا يعرف معناه ويبقى من يفهمهما بينهما ، ولزم اعتبار العدد الموضوع شرعا والمستخرج استنباطا ، لتوقف التحقيق عليه حسب سنة الله ، فأما الكتاب والتفريط فى الشكل ونحوه فأمر مستفاد عن علم الطباع والطبائع ، ولا يخفى بعده عن الحقّ والتحقيق ، فلذا قال ابن البناء رضى الله عنه فى ابن البونى وأشكاله ، ووافق غير النساج وأمثاله .

وقال الحاتمى رضى الله عنه : علم الحروف علم شريف لكنه صار مذموما دنيا وأخرى ، فاعلم ذلك وبالله سبحانه التوفيق : قلت : أما دنيا

= وأخرجه أحمد بن مسنده ١٨٨/٤

والحاكم فى المستدرك ٤٩٥/١ كتاب الدعاء باب مداومة الذكر من طريق يحيى ابن أبى طالب ثنا زيد بن الحباب ... به وصححه الحاكم والذهبى . البيهقى ٣٧١/٣ كتاب الجنائز باب طوبى لمن طال عمره وحسن عمله من طريق أبو صالح حدثنى معاوية إلى آخر طريق الترمذى ولفظه وابن أبى شيبة ٣٠١/١٠ ، ٤٥٧/١٣

فلتوغل صاحبه في الأسباب المتوهمة دون المتحققة ، وذلك قادح فى مقام التوكل باعتبار الاجتهاد فى التسبب كالمبادرة بالكيّ فى التطبب ، لأنه من نزف النفس واستعجال البرء ، وأما أخرى فلأنه شغل بأوجه تخلّ بعمارتها والله أعلم اهـ منه بلفظه .

وقال الإمام العلامة العارف بالله سيدى محمد اليدانى فى شرح خاتمة التصوف مانصه وقال بعضهم : أقرب الطرق إلى دخول الحضرة ذكر الله ، لأن الاسم لا يفارق مسماه ، فلا يزال الذاكر يذكر والحجب تتمزّق شيئا فشيئا ، حتى يقع الشهود القلبى لله ، وحينئذ يستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، ومرادهم بحضرة الله حيث أطلقت انكشاف الحجب ، فتدخلها وأنت قاعد مكانك . الثانية قال فى شرح شهية السماع : لا يقرب عبد إلى حضرته تعالى إلا أن يستحى منه حق الحياء ، ولا يصلح له ذلك إلا أن يحصل له الكشف ورفع الحجاب ، ولا يصلح له ذلك إلا بملازمة الذكر ، ولا يصلح له مقام الإخلاص الكامل وهو شهود الأعمال أنها خلق الله تعالى إلا بمداومة الذكر ، ولا تخمد الأمراض الباطنية إلا به ، ولا تنقطع الخواطر الشيطانية إلا به ، ولا تضعف الخواطر النفسانية إلا به ، وبمداومته يزول الهمّ والغمّ فى الدنيا فإنهما بقدر الغفلة عن الله ، فلا يلومن العبد إلا نفسه إذا ترادفت عليه الهموم والغموم ، فإن ذلك إنما هو جزاؤه بقدر إعراضه عن ربه ، فمن أراد دوام السرور فليداوم على الذكر ، وقد يقنع بعض المغرورين . بمجلس الذكر صباحا ومساء مع الغفلة عن الله فيما بينهما ، وذلك لا ينجع بالسالك إلى منازل القوم ، وربما يحتج بحديث « إذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ أَوَّلَ النَّهارِ ساعَةً وَآخِرَ النَّهارِ ساعَةً غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُما » والمغفرة لاترقى فيها ، وغايتها أن تلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب لا أنها تلحقه

بمن فعل الطاعات ، فافهم ومراد القوم دوام الترقى مع الأنفاس فى المقامات وذلك بدوام ذكر الله ، ثم إنهم لا يرون أنهم قاموا بذرّة واحدة من واجب حق الله تعالى اهـ منه بلفظه .

قال ابن عباد فى شرح الحكم عند قوله : لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشدّ من غفلتك فى وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز . الذكر أقرب الطرق إلى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل . قال الشاعر :

والذكر أعظم باب أنت داخله لله فاجعل له الأنفاس حرّاسا

قال الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه : الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية ، فليس وراء الذكر شئ ، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر . وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ، ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ فاذْكُرونى أذْكُرْكُمْ ﴾ وقوله عزّ وجلّ فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ « أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وأنا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنى فإنْ ذَكَرَنى فى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فى نَفْسِى ، وَإنْ ذَكَرَنى فى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإنْ تَقَرَّبَ إلىَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعا ، وَإنْ تَقَرَّبَ إلىَّ ذِرَاعا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعًا ، وَإنْ أتانِى يَمْشِى أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » (١)

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى =

لكان فى ذلك اكتفاء وغنية ، وهذا الحديث متفق على صحته ؛ قالوا : ومن خصائصه أنه غير موقت ، فما من وقت إلا والعبد مطلوب به إما وجوبا وإما ندبا ، بخلاف غيره من الطاعات .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا وجعل لها حدًا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر ، غير الذكر ، فإنه لم يجعل له حدًا ينتهى إليه ، ولم يعذر أحدًا فى تركه إلا مغلوبا على عقله ، وأمرهم بذكره فى الأحوال كلها فقال عزّ من قائل ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٤١] أى بالليل والنهار ، وفى البرّ والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفى الصحة والسقم والسرّ والعلانية ، وعلى كل حال .

= ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ وقوله جل ذكره : تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ٤٢١/٤ ح رقم ٧٤٠٥ - حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبى حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ يقول الله تعالى ثم ذكره .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى ٢٠٦١/٤ ح رقم ٢٦٧٥ من طريق جرير عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله ص ٢٠٦٨ من طريق أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب فى حسن الظن بالله عز وجل ٥٨١/٥ ح رقم ٣٦٠٣ من طريق أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد فى المسند ٢٥١/٢ من طريق ابن نمير وأبو معاوية إلى آخر طريق البخارى ولفظه ، ص ٤١٣ من طريق عبد الواحد ثنا سليمان الأعمش ... الخ وابن ماجه فى سننه كتاب الأدب باب فضل العمل ١٢٥٥/٢ ح رقم ٣٨٢٢ من طريق أبو معاوية عن الأعمش ... ؟

وقال مجاهد رضى الله عنه : الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا . وروى عن رسول الله ﷺ « أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ »[(١)] فينبغى للعبد أن يستكثر منه فى كل حالاته ويستغرق فى جميع أوقاته ولا يغفل عنه ، وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه ، فإن تركه وغفلته عنه أشد من غفلته فيه ؛ فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وإن كان غافلا فيه . فلعلّ الذكر مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور ، وهى مرتبة العارفين المحققين من الأولياء ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [سورة الكهف : ٢٤] أى إذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا لله ، وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا فى وجود العيان ، وأنشدوا فى هذا المعنى :

ما إن ذكرتك إلا همّ يقلقنى   سرّى وقلبى وروحى عند ذكراك
حتى كأنّ رقيبا منك يهتف بى   إياك ويحك والتذكار إياك
أما ترى الحقّ قد لاحت شواهده   وواصل الكلّ من معناه معناك

وقال الواسطى مشيرًا إلى هذا المقام : الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره ، لأن الذكر سواه .

وقال أبو العباس بن البناء فى كلام ذكره على مقدمة كتاب أبى العزّ

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٦٨/١ حدثنا سريج ثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون ، ص ٧١ من طريق ابن لهيعة ثنا دراج ... ؟

وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الدعاء باب أكثر ذكر الله حتى يقولوا مجنون ٤٩٩/١ وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

تقيّ الدين بن مظفر الشافعى ، وهو كتاب الأسرار العقلية فى الكلمات النبوية ، ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله : ومن أعظم الذكر ماهاج عن خاطر وارد من المذكور جلّ ذكره ، وهذا هو الذكر الخفيّ عند المتصوّفة على الاستمرار والتمكين فى الإسرار ؛ وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر إلى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد حكمة ، بل وقدرة من عزيز حكيم ، وبيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر فى الذكر فارغا من الكلّ فلا يبقى فيه غير الله جلّ ذكره ؛ فيصير القلب بيت الحقّ المبين ، وهو لسانه الذى ينطق به ، فإن بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها وإن سمع كان سمعه الذى يسمع به ، قد استولى المذكور العليّ على الفؤاد فامتلكه ، وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه ، وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها حيث شاء فى مرضاته ، فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف ، وتبعث الأعمال بالطاعات نشاطا ولذّة من غير كلال ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد : ٢١] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٢٨] وقد وصف الله قلب أمّ موسى عليه السلام بمعنى ذلك فى قوله الحقّ ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [سورة القصص : ١٠] أى فارغًا من كل شئ إلا من ذكر موسى ، فكاد أن تبدى به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير ، بل كان تركها للتصريح بذكره صبرًا بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى إليها من قبل فى شأن موسى وبأنه من المرسلين ، وبذلك يندفع الإشكال الذى ذكره أبو العزّ ووصفه بالعظيم ؛ وهو اجتماع الضدّين فى بادئ الرأى وهما الذكر والغفلة عن الذكر ، وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقائقها إلا السالكون وجدانا ، والعلماء إيمانا وتصديقا ، فإياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصمّ

البكم فى الظلمات ؛ ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ، ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ، ولا يشتمل عليه زمان ، ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ، ولا يتصف بحوادث المحدثين ، ولا يجرى عليه صفات المخلوقين ، فهو حاضر عينا ومعنًى ، وشاهد سرًا ونجوى ، إذ هو القريب من كل شئ ، وأقرب إلى الذكر له من نفسه من حيث الإيجاد والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه ، خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها ، وأوجد الأعداد فلا تحصره معانيها سبحانه وهو العلىّ الكبير اهـ كلام الشيخ أبى العباس رحمه الله فى معنى المقام الثالث من مقامات الذكر ، وهو فى غاية الحسن والتحقيق مشيرا إلى توحيد الخواصّ من أجل هذه الطريقة ، فلا ينبغى أن يستبعد العبد الوصول إلى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم ، فعلى العبد القيام بحقّ الأسباب ، ومن الله تعالى رفع الحجاب اهـ منه بلفظه .

وقد قال العلامة اليدالى فى شرح الخاتمة بعد كلام مانصه : الخامسة فى جواهر القرآن : اعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال ، ولكن له قشور ثلاثة ، بعضها أقرب إلى اللبّ من بعض ، ولها لبّ وراء القشور الثلاث ، وإنما فضل القشور لكونها طريقا إليه ، فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط ، والثانى ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى مراقبة حتى يحضر مع الذكر ، ولو تركه وطبعه لاسترسل فى أودية الأفكار ، والثالث أن يتمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث يحتاج إلى تكلف فى صرفه عنه إلى غيره كما احتيج فى الثانى إلى تكلف فى إقراره معه ودوامه معه ، الرابع وهو اللباب المطلوب ، وذلك أن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل

يستغرق المذكور جملته ، ومهما ظهر له فى أثناء ذلك التفات فذلك حجاب شاغل . وهذه الحالة هى التى يعبر عنها العارفون بالفناء وذلك بأن يفنى عن نفسه حتى لا يحسّ بشئ من ظواهر جواهره ، ولا من العوارض الباطنة ، بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا إلى ربه أوّلاً ثم ذاهبا فيه آخرًا ، وإن ظهر له فى أثناء ذلك أنه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شَوب وكُدورة . بل الكمال فيه أن يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء أيضا ، والفناء عن الفناء غاية الفناء ، وهذا قد يظنه الفقيه الرسمى أنه طاقات غير معقولة ، وليس كذلك بل هذه الحالة لهم بالإضافة إلى محبوبهم كحالتك فى أكثر أحوالك بالإضافة إلى محبوبك من جاه أو مال أو معشوق ، فإنك تكون مستغرقا لشدّة الغضب بالفكر فى عدوّك ، ولشدّة شهوتك بالفكر فى معشوقك حتى لا يكون قلبك متسعا لشئ أصلا فتخاطب فلا تفهم ، ويجتاز غيرك بين يديك فلا تراه وعيناك مفتوحتان . ويتكلم عندك فلا تسمع ولا بأذنك صمم ، وأنت فى الاستغراق غافل عن كل شئ وعن الاستغراق أيضا ، لأن الملتفت إلى الاستغراق معرض عن المستغرق به إلى أن قال : فقد أفهمناك ما أراده بالفناء فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم تُحط به ، قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [سورة يونس : ٣٩] وقال : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [سورة الأحقاف : ١١] اهـ . ثم قال : إن الفناء والاستغراق يكون أوّلاً كالبرق الخاطف قَلّ مايثبت ويدوم ، فإن دام ذلك وصار عادة راسخة وهيئة ثابتة ، عرج بها إلى العالم الأعلى ، وطالع الوجود الحقيقى الأصفى ، فانطبع فيه نفس الملكوت ، وتجلى له قدس اللاهوت ، وأوّل ما يتمثل له من ذلك جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء فى صورة جميلة تفضى إليه بواسطتها بعض

الحقائق ، وذلك فى البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال ، ويكافح بصريح الحقّ فى كل شئ ، فإذا ردّ إلى هذا العالم المجازى الذى هو كالظلال نظر إلى الخلق مترحمًا عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس ، ويتعجب فى انخداعهم بعالم الغرور فيكون معهم حاضرًا بشخصه غائبًا بقلبه ، متعجبا هو من حضورهم وهم يتعجبون من غَيبته ، وهذه ثمرة لباب لذكر ، وإنما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر القلب مكلفا ، ثم ذكر القلب طوعا ، ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر ؛ ومادام القلب يشعر بالذكر ويلتفت إليه فهو معرض عن الله وغير منفكّ عن شرك خفئ حتى يصير مستغرقا بالواحد الحقّ ، فذلك هو التوحيد ، وكذلك القول في المعرفة ، فمن طلب المعرفة فقد قال بالثانى ، ومن وجدها فكأنه لا يجدها ، بل يجدها المعروف بها فهو الذى اشتمل من حقيقة الوصال ووصل محبوبه فى حضرة القدس اهـ من شرح خاتمة التصوّف للعلامة اليدالى رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين .

وقال شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم الخاتم المحمدى رضى الله عنه ونفعنا به آمين فى الكلام على مايحتاج إليه مريد الرياضة مانصه : إن المريد الصادق الذى يريد أن يرتاض بالخلوة وغيرها يحتاج إلى أمور : أوّلها معرفة تعديل المزاج ، ثم معرفة غاية القصد ، ثم معرفة كيفية السعى إليه ، ثم معرفة الحجاب القاطع عنه ، ثم معرفة كيفية زواله ، ثم كيفية زواله ، ثم معرفة أصول الحجاب التى منها مواده ، ثم الجدّ فى قطع تلك الأصول ، ثم معرفة الأمور التى بها زوال الحجاب إما كلية أو تفصيلية ، ثم سلّ سيف العزم وركوب جواد المجاهدة بمتابعة ما عرف من هذه الأمور والعمل على مقتضياتها . أما معرفة تعديل المزاج فهو لزوم طريق الاعتدال فى الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط ،

ثم النظر فى الوقت والبلد حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ، وكذلك السن ، ثم مقاومة كل ما يقوّيه عن الانحراف . وأما معرفة غاية القصد فهو رفع الحجاب عن الروح الربانى وردّه إلى حالة الصفاء التى كان عليها قبل التركيب فى الجسم ، فإن هذا الذى يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقى ، وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة ، ومن فقده لم يصل إلى سعادة الآخرة . وأما معرفة كيفية السعى إليه فهى متابعة الرسول ﷺ فى سائر قوله وفعله وحاله وخلقه بإقامة حقوق الله تعالى فى سرّ أو علانية ، مخلصا لله تعالى من جميع الشوائب الدنيوية والأخروية ، وأن يكون ذلك لله تعالى تعظيما وإجلالا لله على بساط الرضى والتسليم والتفويض والاعتماد عليه تعالى فى كل شئ . وأما معرفة كيفية زوال هذا الحجاب فهو السعى فى قطع الحظوظ والشهوات وترك تعظيم نفسها والسعى فى جلب مصالحها وقطع دفع مضارّها بالزهد فيها بالكلية لكن بلطف ورفق . وأما معرفة أصول الحجاب فهو كثرة الأكل والشرب وملاقاة الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام ودوام الغفلة عن ذكر الله تعالى . وأما السعى والجدّ فى قطع تلك الأصول فهو الجوع والعطش بالرفق ودوام الانقطاع عن ملاقاة الخلق ودوام الصمت مطلقا إلا فيما قلّ من ضرورياته ، ومداومة السهر بالرفق ، ومداومة ذكر الله تعالى بالقلب واللسان دائما بأىّ ذكر . ثم إن الأذكار التى بها زوال الحجاب منها كليات وهى التى تقطع الحجاب عن الروح من أىّ أمر كان ، ومنها تفصيليات وهى التى لا تقطع إلا حجابا واحدا من نوع واحد . أما الكليات فهى لا إله إلا الله ، أو الصلاة على رسول الله ﷺ ، أو سبحان الله والحمد لله ، أو الله أكبر ، أو بسم الله الرحمن الرحيم ، أو الله الله الله ، أو الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم . وأما التفصيليات فهى سائر

الأسماء الحسنى ، وكل اسم يذهب بجزء من الحجاب ولا يتعدى للجزء الآخر . والله تعالى الموفق ا هـ كلامه الجدير أن يكتب بذوب الذهب . قلت : ومن أراد شيئا زائدا على ماذكر هنا مما يقطع الحجاب فعليه بملازمة رجاله ، فقد قال السيد العربى بن السائح رضى الله عنه : إن فى جواهر المعانى طرقا عديدة كلها موصلة إلى الله تعالى . قلت : وماهو مكتوم أكثر من ذلك ، ولكن سائق السعادة يسوق أناسا ، والصارف الإلهى يصرف آخرين .

الماء منهمر والأرض معشبة   أقام فيها مريد الخير أو رحلا

وهذا آخر الفصل ، والله الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

الفصل الثالث

وهو الفصل الثالث من فصول الكتاب
فى الاجتماع للذكر والترغيب فى قراءة القرآن والاجتماع لها

فأقول وبالله التوفيق ، وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

قال العلامة العارف بالله حوارى الطريقة الشيخ عمر بن سعيد الفوتى رضى الله عنه كما فى الرماح : اعلم أنّ الاجتماع للذكر حضّ عليه الشارع ورغب فيه ﷺ ، وجرى به عمل أئمة الطريق من أهل الله شرقا وغربا روى البخارى ومسلم والترمذى والنّسائى وابن ماجه وغيرهم مرفوعا « يقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وأنا مَعَهُ إذا ذَكَرَنِى ، فإنْ ذَكَرَنِى فى نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فى نَفْسِى ، وَإن ذَكَرَنِى فى مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فى مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُ » . وروى الطبرانى بإسناد حسن مرفوعًا قال « قالَ الله جَلَّ ذِكْرُهُ : لا يَذْكُرُنِى العَبْدُ فى نَفْسِهِ إلاَّ ذَكَرْتُهُ فى مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ ، وَلا يَذْكُرُنِى فى مَلإٍ إلَّا ذَكَرْتُهُ فى الرَّفِيقِ الأَعْلَى » (١) . وأخرج الإمام أحمد ورواته ثقات عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « ما مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُرِيدُونَ بذلكَ إلاَّ وَجْهَهُ إلَّا نَادَاهُمْ مُنادٍ مِنَ السَّماءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ وَبُدِّلَتْ سَيِّئاتُكُمْ حَسَناتٍ » (٢) . ورواه أبو يَعْلَى والبزّار والطبرانى ، ورواه البَيْهقى من

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٥٦ س ١٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٤٢/٣ ثنا محمد بن بكر أنا ميمون المرائى ثنا ميمون بن سياه عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورًا =

حديث عبد الله بن مغفل ، ورواه الطبراني عن سهل بن حنظلة قال : قال رسول الله « ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ قُومُوا قَدْ غُفِرَ لَكُمْ وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ » (١) . وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ للهِ سَرَايَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَحِلُّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الأَرْضِ فَارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مَجَالِسُ الذِّكْرِ فَاغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ اللهِ وَذَكِّرُوهُ أَنْفُسَكُمْ ، مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى فَلْيَنْظُرْ مَنْزِلَةَ اللهِ تَعَالَى عِنْدَهُ ، يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ » رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ؛ (٢)

= لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء في مجالس الذكر ٧٦/١٠ عن أنس بن مالك .

وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠٨/٣ في ترجمة ميمون بن سياه .

وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٤٦٤/٢ مسند أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ح رقم ١٢٨٣ حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ ثم ذكر .

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء في مجالس الذكر ٧٦/١٠ عن سهل بن حنظلة وعزاه الهيثمي إلى الطبراني وفيه المتوكل بن عبد الرحمن والد محمد بن أبي السرى ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب في محبة الله عز وجل فصل في ذكر أخبار وردت في ذكر الله عز وجل ٤٥٤/١ ح رقم ٦٩٥ عن سهل بن حنظلة .

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء في مجالس الذكر ٧٧/١٠ عن جابر بن عبد الله وعزاه إلى أبي يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وفيه عمر بن عبد الله مولى عفرة وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة وبقية رجالهم رجال الصحيح .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٩٧/٢ - ٣٩٨ - حدثنا أبو عبد الله الحافظ في آخرين .

والرتع : هو الأكل والشرب فى خصب وسعة . وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لَيَبْعَثَنَّ الله أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيامَةِ فى وُجُوهِهِمُ النُّورُ على مَنابِرِ اللُّؤْلُؤِ يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بأَنْبِياءَ وَلا شُهَداءَ ، قال : فجثا أعرابى على ركبتيه فقال : يارسول الله صفهم لنا نعرفهم ، فقال : هُمُ المُتَحابُّونَ مِنْ قَبائلَ شَتَّى وَبِلادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ على ذِكْرِ الله تَعالى وَيَذْكُرُونَهُ » أخرجه الطبرانى بإسناد حسن [١] . وعن عمرو بن عَبَسة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « عَنْ يَمِينِ الرَّحْمنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ رِجالٌ لَيْسُوا بأَنْبِياءَ وَلا شُهَداءَ يَغْشَى بَياضُ وُجُوهِهِم نَظَرَ النَّاظِرِينَ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَداءُ بِمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ ، قيل يارسول الله من هم ؟ قال : هُمْ جُمَّاعٌ مِنْ نَوازِعِ القَبائِلِ يَجْتَمِعُونَ على ذِكْرِ الله تعالى فَيَنْتَقُونَ أطايِبَ الكَلامِ كما يُنْتَقى أطايِبُ الثَّمَرِ » رواه الطبرانى وإسناده مقارب لا بأس به ، [٢] وجماع بضم الجيم وتشديد الميم : أى أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة ، ونوازع جمع نازع : وهو الغريب ؛ ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة ، وإنما اجتمعوا لذكر الله تعالى . وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حِلَقُ الذِّكْرِ » أخرجه

---

(١) أورده الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر ٧٧/١٠ عن أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى وإسناده حسن .

وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب الذكر والدعاء باب لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ٤٠٦/٢ عن أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى وحسنه .

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر ٧٧/١٠ وعزاه إلى الطبرانى ورجاله موثقون .

الترمذى (١) . وأخرج الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال « ذِكْرُ اللهِ خَيْرٌ لاشَكَّ فِيهِ ، يَذْهَبُ بالذَّنْبِ وَلا ذَنْبَ فِيهِ » . وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه « حُضُور مَجْلِسِ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وعِيادةِ أَلْفِ مَرِيضٍ » وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنَّ لله مَلائِكَةً يَطوفونَ فى الطَّرِيقِ يَلْتَمِسونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فإذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرونَ الله تعالى تَنادَوْا : هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى سَماءِ الدُّنْيا ، قالَ : فَيَسألُهُمْ رَبُّهمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : ما يَقُولُ عِبادِى ، قَالَ : فَيَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ ، قالَ : فَيَقُولُ هَلْ رأَوْنِى ؟ قالَ : فَيَقُولُونَ لا والله ما رأَوْكَ ، قالَ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رأَوْنِى ؟ قال يَقُولُونَ لَوْ رأَوْكَ كانُوا أَشَدَّ لكَ عِبادَةً وأَشَدَّ لَكَ تَحْمِيدًا وأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا ، قالَ فَيَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِى ؟ قالَ : يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ ؛ قالَ : فَيَقُولُ وَهَلْ رأَوْها ؟ قالَ : يَقُولُونَ لا والله ما رأَوْها ، قالَ : فَيَقُولُ فَكَيْف لَوْ أَنَّهُمْ رأَوْها ؟ قالَ :

---

(١) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب رقم ٨٣ ح رقم ٣٥١٠ ج ١٠ ص ٥٣

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثني أبي قال حدثنا محمد بن ثابت البناني حدثنا أبي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا مررتم برياض الجنة ثم ذكره . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس وأخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ١٥٠/٣ مسند أنس ابن مالك رضى الله عنه من طريق عبد الصمد إلى آخر سند الترمذى ولفظه .

وأخرجه الإمام أبو نعيم فى حلية الأولياء فى ترجمة زياد بن عبد الله النميرى ٢٦٨/٦ عن زياد النميرى عن أنس بن مالك ثم ذكره .

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٩٥/١ ح ١١٥٨) عن ابن عباس ثم ذكره بلفظه .

يقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رأوْها كانُوا أشَدَّ عَلَيْها حِرْصًا وأشَدَّ لَهَا طَلَبًا وأعظَمَ فِيها رَغْبَةً ؛ قالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قالَ : يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ ، قالَ : فَيَقُولُ وَهَلْ رأوْها ، قالَ يَقُولُون لا واللهِ مارأَوْها ، قالَ : فَكَيفَ لَوْ رأوْها ؟ قالَ يَقُولُون لَوْ رأوْها كانُوا أشَدَّ مِنْها فِرارًا وأشَدَّ لها مخافَةً ، قالَ : فَيقُول فَأُشهِدُكُمْ أني قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائكَةِ فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ ، قالَ : هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » رواه البخاري اهـ منه باختصار [١] .

وفي الأذكار للعلامة النووي رضي الله عنه : اعلم أنه كما يستحبّ الذكر يستحبّ الجلوس في حلق أهله ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ، وذكر بعض الأحاديث المتقدمة ثم قال : وروينا في صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه قال « خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال : ما أجْلَسَكُمْ ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على

---

(١) أخرجه بطوله وبلفظه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل ١٧٤/٤ - ١٧٥ ح رقم ٦٤٠٨ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر ثم ذكر الحديث بتمامه .

وأخرجه بألفاظ متقاربه وبطوله أيضًا الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل مجالس الذكر ٢٠٦٩/٤ - ٢٠٧٠ حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا بهز حدثنا وهيب ، حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ثم ذكره بطوله وبألفاظ متقاربة .

وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ماجاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض ٥٧٩/٥ - ٥٨٠ ح رقم ٣٦٠٠ حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخاري ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد رواه أبي هريرة من غير هذا الوجه وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٥٨/٢ - ٣٥٩ عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ثم ذكره مختصرًا .

ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا ، قال : آللهِ ما أجْلَسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ ؟ قال : أَمَا إني لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، ولكِنَّهُ أتاني جِبْرِيلُ فأَخْبَرَنِي أَنَّ الله تَعالى يُباهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ) [١] . وروينا في صحيح مسلم أيضا عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال « لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله تعالى إلَّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ الله تَعالى فِيمَنْ عِنْدَهُ » [٢] اهـ منه بلفظه .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٥/٤ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن أبي نعامة السعدي عن أبي عثمان عن أبي سعيد الخدري قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما أني لم استحلفكم تهمة لكم ما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم ثم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للإسلام ... ثم ذكره وأخرجه النسائي في سننه كتاب أداب القضاة باب كيف يستحلف الحاكم ٢٤٩/٨ - أخبرنا سوار بن عبد الله قال حـــدثنا مرحوم بن عبد العزيز إلى آخر سـند مسلم ولفظه .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٩٢/٤ من طريق علي بن بحر قال حدثني مرحوم ابن عبد العزيز إلى آخر سند مسلم ولفظه .ش ٣٠٦/١٠ طب ١٤٢/١٩ ، ١٠١١

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤ - حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا اسحاق يحدث عن الأغر أبي مسلم أنه قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله ثم ذكره .

وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الوتر باب ثواب القرآن ٧١/٢ - ٧٢ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي =

وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فى تأسيس القواعد : إعطاء الحكم فى العموم لا يقضى بجريانه فى الخصوص ، فاحتيج فى الخاص لدليل يخصه حتى يتخصص به ، ومن ذلك الجهر بالذكر والدعاء ، فدليله «من ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه » وقيل من أدلته (كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) . وقال ابن عباس « ماكنت أعرف انصراف الناس من الصلاة على عهد رسول الله ﷺ إلا بالذكر » ورواه البخارى . والجهر فى ذكر العيد فى دبر الصلوات وبالثغور وفى الأسفار حتى قال عليه الصلاة والسلام « أرْبَعُوا على أَنْفُسِكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولا غائِبًا »(١) . وقد جهر النبىّ عليه الصلاة والسلام بأذكار وأدعية

= ﷺ قال ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب المقدمة باب فضل العلم والحث على طلب العلم ٨٢/١ ح ٢٢٥ - حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالا ثنا أبو معاوية إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٥٢/٢ مسند أبى هريرة رضى الله عنه من طريق أبو معاوية إلى آخر سند أبو داود ولفظه .

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب مايكره من رفع الصوت فى التكبير ٢٥٧/٢ حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم عن أبى عثمان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبى ﷺ يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم ، إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده ، كتاب المغازى باب غزوة خيبر ٧٠/٣ - حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد عن عاصم إلى آخر الطريق الأول وبلفظ قال لما غزا رسول الله ﷺ أو قال لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ أربعو على أنفسكم ثم ذكره بمثل الرواية السابقة جزء من حديث طويل . =

في مواطن جمّة ، وكذلك السلف . وصح قوله جوابا لأهل الخندق « اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إلاَّ خَيْرُ الآخِرَة ، فاغْفِرْ للأَنْصَارِ والمُهاجِرَةِ » وكل هذه دالة على الجهر والجمع لكن في قضايا خاصة يكون وجودها مستندا إلى دليل لاحتمال قصرها على ماوقعت فيه ، وكونها مقصودة لغيرها لا لذاتها فلزم تمهيد أصل آخر اهـ .

وفي الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي قال : قال رسول الله ﷺ « ما قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدا لَمْ يَذْكُرُوا الله سُبْحانَهُ وَتَعالى فِيهِ ولَمْ يُصَلُّوا على النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلاَّ كانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ القِيامَةِ » [١] . وقال

= وأخرجه أيضا في كتاب القدر باب لا حول ولا قوة إلا بالله ٢١٩/٤ حدثنا محمد ابن مقاتل أبو الحسن أخبرنا عبد الله أخبرنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى ثم ذكره بمثل الرواية الثانية .

وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الوتر باب الاستغفار ٨٨/٢ ح رقم ١٥٢٦ حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا حماد عن ثابت وعلي بن زيد وسعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي إلى آخر طريق البخاري وبمثل الرواية الأولى .

وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر باب استحباب خفض الصوت بالذكر من طريق أبو معاوية عن عاصم إلى آخر سند البخاري ولفظه جـ ٤ ص ٢٠٧٦ .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٦٣/٢ مسند أبي هريرة رضي الله عنه - ثنا عبد الرحمن عن شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ماقعد قوم مقعدًا لا يذكرون الله عز وجل ويصلون عن النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب .

وأخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب الدعاء باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله ٤٦١/٥ ح ٣٣٨٠ حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ماجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم .

وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

داود ﷺ : إلهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم ، فإن لك نعمة تنعم بها على . وقال ﷺ « الْمَجْلِسُ الصالِحُ يُكَفِّرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ أَلْفَىْ أَلْفِ مَجْلِسٍ مِنْ مَجالِسِ السُّوءِ »[(١)] . وقال أبو هريرة رضى الله عنه « إنَّ أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم » . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله : إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا ، فيقول الشيطان للدنيا ، ألا ترين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا : دعهم فإنهم إذا اتفقوا أخذت بأعناقهم إليك . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أنه دخل السوق وقال : أراكم هاهنا وميراثُ رسول الله ﷺ يقسم فى المسجد ، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا ، فقالوا : يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم فى المسجد ، قال : فماذا رأيتم : قالوا : رأينا قوما يذكرون الله عزَّ وجلَّ ويقرءون القرآن ، قال : فلذلك ميراث رســـول الله ﷺ » اهـ منه بلفظه .

قال صاحب الرماح : قال فى كشف القناع : وسئل الجلال السيوطى رحمه الله تعالى عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به فى المساجد ورفع الصوت بالتهليل هل ذلك مكروه أم لا ؟ فأجاب بأنه لا كراهة فى شئ من ذلك ، وقد وردت أحاديث تقتضى استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضى استحباب الإسرار بذلك ؛ والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما

---

(١) أورده الزبيدى فى كتابه اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين كتاب الذكر والدعاء باب فضيلة الذكر ج ٥ ص ٩ وقال العراقى ذكره صاحب الفردوس من حديث أسد بن وداعة وهو مرسل .

جمع النووى بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن . والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها اهـ المراد منه .

وقال : ومن كلام سيدى علىّ الخوّاص : ينبغى للمريد أن يذكر بقوّة تامة مع الجهر ، فإنه أشدّ تأثيرا فى جمع شتات قلبه ؛ وينبغى له أيضا أن يذكر مع جماعة ، فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيرا فى رفع الحجب ، لكون الحقّ تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوّة جماعة ، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد ، لأن قوّة الجماعة أشدّ من قوّة شخص واحد ؛ وأما من حيث الثواب فكلّ له ثواب نفسه وثواب سماع رفقته اهـ . قلت : ومراد القوم ونظرهم فيما يجمع قلوبهم على الله تعالى .

قال الشيخ زروق : معظم نظر القوم مايجمع قلوبهم على مولاهم ، فمن ثم قالوا بأشياء فى باب الأدب أنكرها من لم يعرف قصدهم ، وأخذها بغير حقّ من لم يبلغ حالهم فضلّ بها وزلّ كالسماع ونحوه ، وقد أشار لذلك الجنيد رحمه الله حين سئل عن السماع فقال : كل ما يجمع العبد على مولاه فهو مباح اهـ فجعله مشروطا فى الجمع فى إباحته حتى لايتعدّى حكمه موقوفا على علته حتى لا ينكر والله أعلم اهـ من تأسيس القواعد بلفظه ؛ وفيه أيضا فضيلة الشئ غير أفضليته ، وحكم الوقت غير حكم الأصل ، فلا يلزم من الترغيب الأفضلية وإن ثبت الفضل ، ولا من الترك والفعل لعارض الوقت رفع حكم الأصل ، والجمع للذكر والدعاء والتلاوة ، قد صحّ ندب كلّ ذلك بالأحاديث المتقدمة ، فلا يصحّ دفع أصل حكمه وإن أوثر عليه غيره ، فالأفضلية للغير عليه كالذكر الخفئ وما يتعدّى من العبادات نفعه كالعلم والجهاد والتكسب على العيال إلى غير ذلك مما كان اعتناء الصحابة به وشغلهم

فيه حتى شغلهم عن الاجتماع للذكر ، والمفزع له من غير ضميمة شئ من ذلك إليه ، ألا تراهم عند إمكانه على ماهم فيه استعملوه كالأسفار والأعياد وأدبار الصلوات ونحو ذلك ؛ ولما جاء عليه السلام حلقة الذاكرين تجاوزها وجلس مع المتذاكرين فى العلم ، فآثر المتذاكرين لتعدّى نفعهم ولاحتياجهم إليه فيما هم به ، إذ لا علم لهم إلا من قبله فقصدهم لتبليغ ماجاء به ، بخلاف الذاكرين فإن ماهم فيه بين بنفسه ونفعه قاصر عليهم ، لكنه لم ينكر على أولئك وإن آثر هؤلاء ، والله أعلم اهـ عنه . وقد تقدّم أن نظر القوم فيما يجمعهم على الله قد قال إمامنا وإمام الأئمة مالك بن أنس : لو كنت أعلم أن قلبى يصلح بالجلوس عند كناسة لفعلت ، وورد مثل ذلك فى السنة ، ففى شرح المواقف : وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى أبا موسى الأشعرى قال : ذكرنا ربنا ، فيقرأ وكان حسن الصوت ، وإنما استدعى عمر رقة قلبه بسماع قراءته للقرآن ، وهذا لا بأس به إذا صح من فاعله على هذا الوجه اهـ منه بلفظه .

قلت : وأما تخصيص الصوفية وبعض الصالحين بعض الليالى بشئ من القربات دون بعض ، فقد قال القاضى عياض فى إتيان النبى ﷺ مسجد قباء كل يوم سبت حجة لجواز تخصيص الأئمة والصالحين بعض الأيام من الجمعة بنوع من القربات سبتًا وغيره اهـ المراد منه .

وقد قال شيخنا رضى الله عنه ، وبقوله يختم الكلام فى المسئلة فى معرض الكلام على السماع بعد كلام : وكم من عارف يفاض عليه فى حضوره السماع من الحضرة القدسية من فيوض الأحوال والمعارف ، فيترقى به من المقامات مالايترقاه بالعبادة وصفاء الأوقات فى مائة ألف عام من المقامات اهـ كلام شيخنا وإمامنا بلفظه من جواهر المعانى .

وأما القراءة للقرآن فقد قال النووى فى الأذكار مانصه : فصل ينبغى أن يحافظ على تلاوته ليلا أو نهارا ، سفرا أو حضرا . وقد كانت للسلف رضى الله عنهم عادات مختلفة فى القدر الذى يختمون فيه ، فكان جماعة منهم يختمون فى كل شهرين ختمة ، وآخرون فى كل شهر ختمة ، وآخرون فى كل عشر ليال ختمة ، وآخرون فى ثمان ليال ختمة ، وآخرون فى كل سبعة ليال ختمة . وهذا فعل الأكثرين من السلف ، وآخرون فى كل ست ليال ، وآخرون فى خمس ، وآخرون فى أربع ، وكثيرون فى كل ثلاث ، وكان كثيرون يختمون فى كل يوم وليلة ختمة ، وختم جماعة فى كل يوم وليلة ختمتين ، وآخرون فى كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وختم بعضهم فى اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا فى الليل وأربعا فى النهار ، وممن ختم أربعا فى الليل وأربعا فى النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفى رضى الله عنه ، وهذا أكثر مابلغنا فى اليوم والليلة . وروى السيد الجليل أحمد الدورقى بإسناده عن منصور بن زاذان بن عباد التابعى رضى الله عنه أنه كان يختم القرآن مابين الظهر والعصر ، ويختمه أيضا فيما بين المغرب والعشاء ، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء فى رمضان ختمتين وشيئا ، وكانوا يؤخرون العشاء فى رمضان إلى أن يمضى ربع الليل . وروى ابن أبى داود بإسناده الصحيح أن مجاهدًا رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء . وأما الذين ختموا القرآن فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم ، فمنهم عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير ؛ والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له منه كمال فهم مايقرأ ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وفصل الحكومات بين المسلمين

أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين ، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو بصدده ولا فوّة كماله ، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهذرمة فى القراءة . وقد كره جماعة من المتقدّمين الختم فى يوم وليلة ، ويدلّ عليه مارويناه بالأسانيد الصحيحة فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لايَفْقَهُ مَنْ قَرَأ القُرآنَ فى أقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ » (١) وأما وقت الابتداء والختم فهى إلى خيرة القارئ ، فإن كان ممن يختم فى الأسبوع مرّة فقد كان عثمان رضى الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس . وقال الإمام أبو حامد الغزالى فى الإحياء : الأفضل أن يختم ختمة بالليل وأخرى بالنهار ، ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل أوّل النهار وآخره . وروى ابن أبى داود عن عمرو بن مرّة التابعى الجليل رضى الله عنه قال : كانوا يحبون

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن ٥٧/٢ ح رقم ١٣٩٤ - حدثنا محمد بن المنهال أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة عن أبى العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله يعنى ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب القراءات باب رقم ١٣ ج ١٩٨/٥ ح رقم ٢٩٤٩ - حدثنا محمود بن غيلان حدثنا النضر بن شميل حدثنا شعبة عن قتادة إلى آخر سند أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى تعليقا على هذا الحديث هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب كم يستحب بختم القرآن ٤٢٨/١ ح رقم ١٣٤٧ حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة إلى آخر سند أبو داود ولفظه .

أن يختم القرآن من أول الليل ومن أوّل النهار . وعن طلحة بن مصرف التابعي الإمام الجليل قال : من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح . وعن مجاهد نحوه . وروينا فى مسند الإمام المجمع على حفظه وجلالته وإتقانه وبراعته أبى محمد الدارمى رحمه الله عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : إذا وافق ختم القرآن أوّل الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، قال الدارمى : هذا حسن عند سعد . وقال أيضا فى آداب الختم ومايتعلق به : قد تقدّم أن الختم للقارئ وحده يستحبّ أن يكون فى صلاة ، وأما من يختم فى غير صلاة والجماعة الذين يختموه مجتمعين فيستحبّ أن يكون ختمهم فى أوّل الليل أو أوّل النهار كما تقدم اهـ المراد منه . وقد قال الشيخ سيدى المختار الكنتى رضى الله عنه مانصه : وقال أبو الليث ينبغى للقارئ أن يختم فى السنة مرّتين إن لم يقدر على الزيادة . وقد روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال : من ختم القرآن فى كل سنة مرّتين فقد أدّى حقه ، لأن النبىّ ﷺ عرضه على جبريل فى السنة التى قبض فيها مرّتين . ومن حديث أحمد بن حنبل : يكره تأخير ختم القرآن لمن يحفظه أكثر من أربعين يوما بلا عذر ، لأن عبد الله بن عمرو سأل النبىّ ﷺ فى كم يختم القرآن ؟ قال : فى أربعين يوما ، رواه أبو داود [١] . اهـ من تذييله للكواكب بلفظه . وفيه قال مالك بن أنس : يستحبّ الإكثار من قراءة

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب فى تحزيب القرآن ٥٧/٢ ح رقم ١٣٩٥ - حدثنا نوح بن حبيب أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه عن عبد الله بن عمرو انه سأل النبى ﷺ فى كم يقرأ القرآن قال =

القرآن وتلاوته ، فقد أثنى الله تعالى على من كان دأبه تلاوة القرآن بقوله: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٣] وفى الصحيحين من حديث ابن عمر « لا حَسَدَ إلاَّ فى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتاهُ الله القُرآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ ، وَرَجُلٌ آتاهُ الله مالاً فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ فى الحَقِّ » [(١)] .

ومن حديث أبى سعيد عن النبيّ ﷺ فى حديث قدسىّ يرويه عن ربه ولفظه « يَقُولُ الرَّبُّ سُبْحانَهُ وَتَعالى : مَنْ شَغَلَهُ القُرْآنُ وَذِكْرِى عَنْ مَسْأَلتِى أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِى السَّائِلِينَ ، وَفَضْلُ كَلامِ الله على سائِرِ الكَلامِ كَفَضْلِ

= فى أربعين يومًا ثم قال فى شهر ثم قال فى عشرين ثم قال فى خمس عشرة ثم قال فى عشر ثم قال فى سبع ، ينزل من سبع .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول النبى ﷺ ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار .. ٤٥٧/٤ حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال الزهرى عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبى ﷺ قال لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ٥٥٨/١ من طريق زهير بن حرب عن سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند ٨/٢ - ٩ من طريق أحمد عن سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب البر باب ماجاء فى الحسد ٣٣٠/٤ ح رقم ١٩٣٦ - من طريق ابن أبى عمر حدثنا سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد باب الحسد ١٤٠٨/٢ ح رقم ٤٢٠٩ من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد ثنا سفيان إلا آخر سند البخارى ولفظه .

الله على سائِرِ خلْقِهِ »(١) . وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى أمامة الباهلى « اقْرءُوا القُرآنَ فإنَّهُ يأتِى يَوْمَ القِيامَةِ شَفِيعا لِأصْحابِهِ »(٢) . وأخرج البيهقى من طريق عائشة عن النبىّ ﷺ « البَيْتُ الَّذى يُقْرأُ فِيهِ القُرْآنُ يَتراءَى لأهْلِ السَّماءِ كما تَتَراءَى النُّجُومُ لِأهْلِ الأرْضِ »(٣) . وأخرج من حديث أنس « نَوِّرُوا مَنازِلَكُمْ بالصَّلاةِ وَقِراءَةِ القُرآنِ »(٤) .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب فضل القرآن باب رقم ٢٥ ١٨٤/٥ ح رقم ٢٩٢٦ حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا شهاب بن عباد العبدى حدثنا محمد بن الحسن بن أبى يزيد الهمدانى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ يقول الرب عز وجل من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته .... الخ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب . وأخرجه الدارمى فى سننه كتاب فضائل القرآن باب فضل كلام الله على سائر الكلام ٣١٧/٢ من طريق محمد بن الحسن الهمدانى عن عمرو بن قيس إلى آخر طريق الترمذى ولفظه ط ١ الفنية المتحدة سنة ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٣/١ – حدثنى الحسن بن على الحلوانى حدثنا أبو توبه وهو الربيع بن نافع حدثنا معاوية يعنى ابن سلام عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول حدثنى أبو أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قال معاوية بلغنى أن البطلة السحرة .

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٣٩/٨ ح رقم ٧٥٤٤ من طريق أحمد بن خليد الحلبى ثنا أبو توبة إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

(٣) أورده علاء الدين الهندى في كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٤١٥/١ ح رقم ٢٢٩١ عن عائشة وعزاه إلى البيهقى .

(٤) أورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ح ١٥ ص ٣٩٢ ح رقم ٤١٥١٨ عن أنس .

وأخرج من حديث النعمان بن بشير « أَفْضَلُ عِبادَةِ أُمَّتِى قِراءَةُ القُرآنِ » (١) . ومن حديث سمرة بن جندب « كُلُّ مُؤدِبٍ يُحِبُّ أنْ تُؤتَى مأدُبَتُهُ ، وَمأدُبَةُ الله القُرآنُ فَلَا تَهْجُرُوهُ » (٢) . ومن حديث عبيدة المالكى مرفوعا وموقوفا « يا أَهْلَ القُرآنِ لا تَتَوسَّدُوا القُرآن وَاتْلُوهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ وفى آناءِ اللَّيْلِ وأطْرافِ النَّهارِ ، وَأَفْشُوهُ وَتَدَبَّرُوا مافِيهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٣) اهـ منه . وفيه : وتسنّ القراءة فى الموضع النظيف وأفضله المسجد . وكره قوم القراءة فى الحمّام والطريق ، وقيل لا تكره ، وكرهها الشعبى فى بيت الرحا وهى تدور ، ويستحبّ للقارئ الجلوس مستقبلاً حال القراءة متخشعًا بسكينة ووقار مطرقا رأسه ، ويسنّ

= وقال الإمام المناوى فى فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢٩٠/٦ حديث رقم ٩٢٩١ ورمز له السيوطى بالضعف وضعفه المناوى أيضًا .ط التجارية الكبرى سنة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .

(١) انظر علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٢٢٦٤/١ عن النعمان بن بشير وعزاه إلى البيهقى .

(٢) علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٥١٤/١ ح رقم ٢٢٨٦ عن سمرة بن جندب .

(٣) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب فى صلاة الليل ٢٥٢/٢ وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بكر بن أبى مريم وهو ضعيف .

وأخرجه أبو نعيم فى ذكر أخبار أصبهان فى ترجمة الحسن بن محمد بن مزيد أبو سعيد ٢٦٠/١ قال أبو نعيم حدثنا أبى ثنا محمد بن أحمد بن مزيد ثنا أبو سعيد الحسن بن محمد بن مزيد ثنا هشام عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا أبو بكر بن أبى مريم عن المهاجر بن حبيب عن عبيدة الأملوكى عن رسول الله ﷺ قال يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته ثم ذكر الحديث تمامه .

وأورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٦١١/١ حديث رقم ٢٨٠٣ عن عبيدة المليكى وعزاه إلى الطبرانى والبيهقى وأبو نعيم وابن عساكر .

الاستياك قبل القراءة تعظيمًا وتطهيرًا لقوله عليه الصلاة والسلام « نَظِّفُوا أَفْوَاهَكُمْ بِالتَّشْوِيكِ وَالتَّخْلِيلِ فَإِنَّهَا طُرُقُ الْقُرْآنِ وَمَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ » (١) . ويروى أن الله تعالى وكّل ملكًا بالقارئ إذا قرأ يجعل فاه على فيه إكراما للقرآن ، والملائكة عليهم الصلاة والسلام يتأذون بالريح الكريهة أشدّ التأذّي ، ويتنعمون بالرائحة الطيبة ويحبونها كما في الخبر « عَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ فَإِنَّهُ يُرْضِي الرَّحْمَنَ وَيُغْضِبُ الشَّيْطَانَ وَيُطَيِّبُ النَّكْهَةَ وَيَشُدُّ اللِّثَةَ وَيَزِيدُ الْفَصِيحَ فَصَاحَةً » (٢) اهـ منه بلفظه . وفيه أيضا : وتسنّ القراءة بالتدبر والتفهم ، لأنه المقصود الأعظم والمطلوب الأهمّ . قال على رضى الله عنه : لا خير فى قراءة لا تدبر فيها ، لأن بالتدبر تنشرح الصدور وتستنير القلوب ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [سورة ص : ٢٩] وقال ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [سورة

---

(١) أخرجه الديلمى فى الفردوس بمأثور الخطاب ٢٤٨/٤ ح رقم ٦٧٣٣ وزهر الفردوس ١١٠/٤ قال أخبرنا كريمة بنت محمد بن عبد الواحد أخبرنا أبو طاهر الثقفى أخبرنا ابن المقرى حدثنا حاجب بن أبى بكر الفرغانى عن أحمد بن محمد العسقلانى عن مخلد السلمينى عن خالد الأحمر عن الوضين عن عطاء عن أنس مرفوعًا .

وأورده العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الألباس ٣٤٢/١ وأورده المنتقى الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٦١١/١ ح رقم ٢٨٠٤

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٠٨/٢ مسند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما – حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن عبد الله ابن أبى جعفر عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال عليكم بالسواك فإنه مطيبة للفم ومرضاة للرب .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الطهارة باب فى السواك ٢٢٠/١ عن ابن عمر وعزاه إلى الطبرانى وأحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣١٤/٩ ح رقم ٢٦١٨٣ عن ابن عمر وعزاه إلى أحمد والطبرانى .

النساء : ٨٢] وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر فى معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهى مع اعتقاد قبول ذلك ، فإن مرّ على شئ مما قصر عنه فيما مضى من عمره اعتذر واستغفر وطلب الإقاله من الله تعالى ، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو آية عذاب أشفق وتعوّذ ، أو آية تنزيه نزّه وعظم ، أو آية دعاء تضرّع وطلب كما فى حديث حذيفة رضى الله عنه قال « صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ »[١] أخرجه

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ٥٣٦/١ – حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية .

وحدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم ، جميعًا عن جرير ، كلهم عن الأعمش . ح وحدثنا ابن نمير واللفظ له حدثنا أبى .حدثنا الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن المستورد بن الأحنف عن صلة بن زفر عن حذيفة قال صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح آل عمران فقرأها ثم افتتح النساء فقرأها يقرأ مترسلًا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربى العظيم فكان فى ركوعه نحوًا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربى الأعلى فكان سجوده قريبًا قيامه .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب تسوية القيام والركوع والقيام بعد الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين فى صلاة الليل ١٢٥/٣ – ١٢٦ أخبرنا الحسين بن منصور قال ثنا عبد الله بن نمير إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده مسند حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ج ٥ ص ٣٩٧ من طريق عبد الله بن نمير إلى آخر طريق الإمام مسلم ولفظه .

مسلم فى صحيحه . ومن حديث عوف بن مالك قال « قمت مع النبىّ ﷺ ليلة فقرأ سورة البقرة لا يمرّ بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ »[١] رواه أبو داود والنسائى . وأخرج أبو داود فى مسنده والترمذى فى صحيحه « أنه ينبغى لمن قرأ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فانتهى إلى آخرها أن يقول : بَلى وأَنا عَلى ذلكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . ومن قرأ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ فانتهى إلى قوله : أَلَيْسَ ذلكَ بِقادِرٍ على أَنْ يُحْيِىَ المَوْتَى ، فليقل بلى . ومن قرأ : وَالمُرْسَلاتِ عُرْفًا ، فقرأ بِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ، فليقل : آمَنَّا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِمَا أَنْزَلَ فى كِتابِهِ » . ومن حديث ابن عباس « أن النبىّ ﷺ كان إذا قرأ : « سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ، قال : سُبْحانَ رَبِّىَ الأَعْلَى » أخرجه أحمد وأبو داود فى صحيحيهما اهـ منه . وفيه أيضا وفى الصحيحين قراءة ابن مسعود على النبى ﷺ ، وفيه « وإذا عيناه تذرفان » وفى شعب الإيمان للبيهقى عن سعد بن مالك مرفوعا « إِنَّ هٰذَا القُرآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ وكآبة فإذا قرأتُموهُ فابْكُوا ، فإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَباكَوْا » أى اطلبوا البكاء من أنفسكم . وفى مرسل عبد الملك بن عمير « أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه يوما فقال لهم : إنى قارِئٌ عَلَيْكُمْ سُورَةً فَمَنْ بَكَى فَلَهُ الجَنَّةُ ، فإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَباكَوْا » أى اطلبوا البكاء من أنفسكم . وفى مسند أبى يعلى « اقْرَءُوا

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب مايقول الرجل فى ركوعه وسجوده ٢٢٩/١ ح ٨٧٣ – حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب ثنا معاوية بن صالح ابن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعى قال قمت مع رسول الله : ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ... ثم ذكره .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب التطبيق باب نوع آخر ٢٢٣/٢ من طريق الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

القُرْآنَ بالحُزْنِ فإِنَّهُ نَزَلَ بالحُزْنِ »(١) . ومن حديث الطبرانى « أَحْسَنُ النّاسِ قِرَاءَةً مَنْ إذا قَرأَ القُرآنَ يَتَحَدَّثُ بِهِ »(٢) . ومن أسباب تحصيل البكاء التأمل واستحضار معانى مايقرأ من اللفظ : من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يتفكر فى تقصيره فيها ، فإن لم يصبه عند ذلك حزن ولا بكاء ، فليبك على نفسه لبعده عن الحق والخشوع ، فإن ذلك مصيبة من المصائب اهـ . وفيه : ويسنّ الترتيل فى قراءة القرآن كما يدلّ عليه قوله تعالـــــى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [سورة المزمل : ٤] ومن حديث أمّ سلمة أنها لما نعتت قراءة رسول الله ﷺ نعتت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا ، أخرجه أبو داود اهـ(٣) منه . ثم قال الشيخ سيدى

---

(١) انظر علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال باب الفصل الثالث فى آداب التلاوة ٦٠٦/١ عن بريدة وعزاه إلى أبى يعلى وأبو نعيم والطبرانى فى الأوسط .

ولم أقف عليه فى مسند بريدة من مسند أبو يعلى .

وأخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الأوسط ٢٧١/٣ ح رقم ٢٩٢٣ - حدثنا ابراهيم قال حدثنا اسماعيل بن سيف قال حدثنا عوين بن عمرو القيسى أخو رباح بن عمرو قال حدثنا سعيد الجريرى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ثم ذكره .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٦٩/٧ وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف .

(٢) أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ٧/١١ حديث رقم ١٠٨٥٢ حدثنا عثمان بن يحيى بن صالح ثنا أبى ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ يتحزن » .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٧٠/٧ وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف .

وعلاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٦٠٢/١ الفصل الثالث فى آداب التلاوة وعزاه إلى الطبرانى عن ابن عباس .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب استحباب الترتيل فى القراءة ٧٤/٢ - ٧٥ ح ١٤٦٦ حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملى ثنا الليث عن ابن أبى مليكة =

المختار الكنتى المذكور : ولا بأس باجتماع الجماعة فى القراءة ولا بإدارتها وهى بأن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها اهـ منه . ولذا قال صاحبه عمليات فاس :

والذكر مع قراءة القرآن   جماعة شاع مدى أزمان

وقال العلامة سيدى محنض باب الديمانى التجانى رضى الله عنه :

وأنكروا الجهر والاجتماع   للذكر وهو جائز إجماعا
قد وقع الإجماع بعد الخلف   فيه فجاز اليوم دون خلف

وقد قال شيخنا الختم التجانى فى فضل التلاوة مانصه كما فى الكناش : وأما مرتبة الظاهر من باطن الباطن وهى تلاوة القرآن بالنظر للجمعية العظمى حيث لا أين ولا رسم ولا كيف ، إلا التغلغل الربانى والسرّ الصمدانى الذى لا يعقل ولا يعرف ولا تلحقه عبارة ولا تدركه

= عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته فقالت ومالكم وصلاته كان يصلى وينام قدر ماصلى ثم يصلى قدر مانام ثم ينام قدر ماصلى حتى يصبح ونعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءته حرفا حرفا .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب فضائل القرآن باب ماجاء كيف كان قراءة النبى ﷺ ١٨٢/٥ ح ٢٩٢٣ حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة إلى آخر طريق الإمام أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى تعليقًا على هذا الحديث هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد عن ابن أبى مليكة عن يعلى ابن مملك عن أم سلمة وأخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب ذكر صلاة رسول الله ﷺ بالليل ٢١٤/٣ من طريق قتيبة قال حدثنا الليث إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند ٢٩٤/٦ من طريق أحمد ثنا الليث بن سعد إلى آخر طرق أبو داود ولفظه .

وآخر الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ٤٠٧/٢٢ ح رقم ٩٧٧ من طريق ابن جريج حدثنى أبى عن ابن مليكة .

إشارة ، وصاحب هذه المرتبة للقرآن يستوعب جميع ماذكر به ربنا على ألسنة العوالم من الأزل إلى الأبد ، ولا تعرف لهذه المرتبة كيفية ولا تعرف لها غاية ولا تدرك لها نهاية ، وهى مرتبته ﷺ دون غيره فقط فى تلاوته القرآن . وأما ثواب القرآن فهو على مراتب بحسب مراتب الخلق مرتبة المحجوب ، فليست مرتبة هذا أيضا كمرتبة الذى فتح عليه فى أسرار الولاية الصغرى ، وليست مرتبة هذا الولئ الصغير كمرتبة العارف الذى وصل مرتبة الصديقية وليست مرتبة العارف الذى وصل مرتبة الصديقية فيها كمرتبة القطب الفرد الجامع ، فلكل مرتبة من هذه المراتب حدّ تنتهى إليه فى ثواب تلاوة القرآن ، ولكل مرتبة منها ظاهر وباطن ، فظاهر المرتبة هو ما ذكر فى الحديث على كون من قرأ القرآن على غير وضوء له بكل حرف عشر حسنات ، وإن كان متوضئا فى غير صلاة فله بكل حرف خمسة وعشرون حسنة ، وإن كان متوضئا فى صلاة جالسا فلكل حرف خمسون حسنة ، وإن كان فى الصلاة قائما فبكل حرف مائة حسنة ، فهذه هى مرتبة الظاهر ، وأما مرتبة الباطن فلا يبلغها حدّ ولا قياس ولا ينتهى إليها قدر ولا مقدار ولا يبلغ كنه وصفها أحد من كافة الخلق أبد الآبدين ، فإن الحرف الواحد منه لو جمعت الأذكار كلها والأسماء والصفات والحسنات وجميع العبادات من أوّل الدهر إلى آخره مابلغ ذلك كله قدر حرف واحد منه فهذه هى المرتبة الباطنة .

وهذا آخر ما أردنا جمعه فى هذا الفصل ، والله تعالى الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

الباب الثانى

وفيه ثلاث فصول

الفصل الأول

وهو الفصل الرابع من فصول الكتاب
فى ذكر الفيضة التجانية وما قال صاحبها
وما قال رجال طريقته بعده
رضى الله عنه ، وما يؤيد ذلك من الكتاب والسنة

فأقول : قد تواتر بين أصحاب الشيخ الختم التجانى رضى الله عنه وتداول فى كتب المؤلفين فى طريقته أن الشيخ رضى الله عنه قال : تأتى فيضة على أصحابى حتى يدخل الناس فى طريقنا أفواجا أفواجا . تأتى هذه الفيضة والناس فى غاية مايكونون عليه من الضيق والشدّة . قال صاحب الإفاضة : وكان يعنى بالفيضة أن يكثر الفتح على أصحابه وكان يستبعد زمنها . وقال شيخنا رضى الله عنه كما فى رسالة الفضل والامتنان لمؤلفها الخليفة سيدى على حرازم برادة رضى الله عنه . إن مما ضمنه له رسول الله ﷺ أن يبقى مدده فى مريديه إلى قيام الساعة ، وأن تكون طريقته فى بنى آدم أزيد من عشرة آلاف طريق ، كل من تلامذته كل طريق لتلميذ من تلامذته ، وكل طريق تتفرع على طرق كثيرة من المعرفة ، ثم تتفرع كل طريق أيضا على طرق إلى قيام الساعة ، وأن تكون فى الجنة أزيد من عشرين ألف طريق تتفرع بفروع كثيرة إلى قيام الساعة ، لا تنقطع أبدا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير

الوارثين ، وخاصية الورد باقية إلى قيام الساعة مادام يتلى ويذكر اهـ كلام شيخنا رضى الله عنه . وهذه الفيضة التى ذكر شيخنا قد تكلم أصحابه وخلفاؤه وورثة أسراره بعده عليها . وكثير منهم ادّعاها لنفسه وقد تكلموا فيها فوقع فى كلامهم اضطراب . وقد وقفت على أسئلة سأل عنها العلامة أحمد بن محم العلوى رضى الله عنه الشيخ عمر الفوتى رضى الله عنه ، منها السؤال الثالث من قول الشيخ رضى الله عنه : تأتى فيضة على أصحابى حتى يدخل الناس فى طريقتنا أفواجا أفواجا ، تأتى هذه الفيضة والناس فى غاية مايكونون عليه من الضيق والشدّة ، هل أتت هذه الفيضة أم هى باقية ؟ ونصّ جواب الشيخ عمر رضى الله عنه : وأما الفيضة فأرجوا من الله إليكم أن يكون المراد بها أنا العبد الفقير والإمام الفاطمى رضى الله عنه اهـ كلامه بلفظه ووقفت على زيادات زادها السيد العربى بن السائح رضى الله عنه على أجوبة الشيخ عمر وقال فيها : وأما قوله فى الجواب الثالث عن قول سيدنا رضى الله عنه : تأتى فيضة الخ ، فأرجو الخ ، فقد رأينا أصحاب الشيخ الكبار الذين أدركناهم يختلفون فيها ، هل وقعت أم لا ؟ وكان بعض من مال إلى أنها وقعت يقول : هى التى وقعت ببلاد شنجيط على يد الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنه وكان الآخرون يقولون : إنها لم تقع لأنّ الشيخ قال : يدخل الناس فى طريقتنا أفواجا ولم يخصّ بلدا ولا إقليما بذلك . والكلّ متفقون على أن يستبعد زمنها والذى نعقله فيما بلغنا عن الشيخ أنها إلى الآن لم تقع ، وإنما يكون وقوعها عند ظهور المنتظر حيث تصير الطرق طريقا واحدة ، والله أعلم .

قلت : قد دخل الناس فى الطريقة أفواجا ، ولعلّ نسخ الطرق إذا لم يبق واحدة منها من يصلح للتربية ، وقد شوهد فى هذا الزمن من الضيق

والشدة مالم يشاهده كثير من الكبار الذين أدركناهم ، والذى وقع من كثرة الفتح فى أصحاب الشيخ والمعرفة بالله والاستغراق فى الله برفض كل ماسواه ماوقع فى طريقتنا قط فيما أعلم منذ بروزها إلى يومنا هذا . و(ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) وقد ادّعاها لنفسه العارف بالله سيدى محمد الحافظ بن خير العلوى فى نظمه ، وأشار إلى بعض أوصاف صاحبها وطلبها ، فقال :

هب أننى أنا الذى قد ظهر ... من الألى أمرهم قد اشتهر
وصاحب الفيضة آخر الزمان ... وفائق الرجال فى علم القرآن
وأفردتنى فى الثلاثين سنه ... وأيقظ القلوب بى من السِّنه

إلى آخر نظمه . وقد ادّعاها لنفسه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر شيخى وسيدى الحاج عبد الله بن الحاج رضى الله عنه ، فقد قال إنه كوشف له عن الفيضة ورآها لنفسه وصار يطلبها فى كل من وجد من التلامذة ، ولما علم بقرب وفاته رضى الله عنه ولم تقع علم أنها تبقى فى تلامذته ، فصار يكثر التقديم حرصا على التوسط فيها وذلك سبب جولانه ، وقال فى ذلك أشياء لاتكتب فى الأوراق ولا تنظر بالأحداق . وأما الدلائل من الكتاب فقد قال تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٦] وقال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] الآية ، وقال ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٨٩] وقال ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾ [سورة الجمعة : ٣] وقال ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر : ١] الخ ، وقال ﴿ وَيَخْلُقُ مالا تَعْلَمُونَ ﴾ فهنا إشارات لمن نوّر الله بصيرته تؤيد ماتقدم ، وإليك استخراجه ، وسلم تسلم . وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ : « سيأتى زمانٌ للعاملِ فيهِ أجرُ خمسينَ ،

قالوا : منا أو منهم يارسول الله ؟ قال : بلْ مِنْكُمْ »(١) وقال « لا تزال طائفة » الحـــديث المتقدم ، وقال « أمتى كالمطر » وقد تقدم الكلام عليه مستوفى ، وقال « خَيْرُ أُمَّتِي أَوَّلُهَا وآخِرُها ، وفى الوَسَطِ الكَدَرُ » وقال « والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُدْرِكَنَّ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ فى أُمَّتِى خَلَفًا مِنْ حَوَارِيِّهِ » وغير ذلك من الأحاديث التى لو جلبناها وما يتعلق بها من الكلام لاحتجنا إلى مجلد ، وإن لم تدرك يا أخى حقائق الآيات المنجلية والأحاديث ، فلا يصدّنك ذلك عن تلقيها بالقبول . قال شيخنا رضى الله عنه كما فى جواهر المعانى : فعليك يا أخى بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ، ولا تتوهم فيما يُفسرون به الكتاب والسنة ، أن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن لظاهر الآية أو الحديث مفهوم

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهى ١٢١/٤ ح رقم ٤٣٤١ - حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود العتكى قال ثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبى حكيم قال حدثنى عمرو بن جارية اللخمى حدثنى أبو أمية الشعبانى قال سألت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة كيف تقول فى هذه الآية « عليكم أنفسكم » ؟ قال أما والله لقد سألت عنها خبيرًا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوًى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك - يعنى بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام [الصبر] الصبر فيه مثل قبض الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » وزادنى غيره قال يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال أجر خمسين منكم .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب تفسير سورة المائدة ٢٥٧/٥ - ٢٥٨ ح رقم ٣٠٥٨ حدثنا سعيد بن يعقوب الطلقانى حدثنا عبد الله بن المبارك إلى آخر طريق أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن باب قوله تعالى يا أيها الذين امنوا عليكم أنفسكم ١٣٣٠/٢ - ١٣٣١ ح ٤٠٤١ من طريق صدقة بن خالد حدثنى عتبة بن أبى حكيم إلى آخر طريق أبو داود - وبنحو روايته .

بحسب الناس وتفاوتهم فى الفهم ، فمن المفهـوم ماجلب له الآية أو الحديث ودلت عليه فى عرف اللسان ، وثم أفهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه ، إذ قد ورد فى الحديث النبوى « إن لكل آية ظاهرا وباطنا وحدًا ومطلعا إلى سبعة أبطن وإلى سبعين »[١] فالظاهر هو المعقول والمنقول من العلوم النافعة التى تكون بها الأعمال الصالحة ، والباطن هو المعارف الإلهية والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن ، والحدّ يكون طريقا إلى الشهود الكلى الذاتى ، فافهم يا أخى ولا يصدّنك عن تلقى هذه المعانى الغريبة عن فهوم العموم من هذه الطائفة الشريفة قول ذى جدل ومعارضة : إن هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فإنه ليس ذلك بإحالة ، لو قالوا لا معنى للآية الشريفة أو الحديث إلا هذا الذى قلنا ، وهم لم يقولوا ذلك بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله تعالى فى نفوسهم ما يفهمهم بفضلة ويفتحه على قلوبهم برحمته ومنته الخ انظر الجواهر .

قلت : والحكمة فى ظهور هذه الفيضة فى هذا الزمان الفاسد ضعف الإيمان فى قلوب الناس ، وكثرة الفرق الضالة والمضلة ، وهذه الأمة أمة مرحومة فأفيضت إليهم المعارف والحقائق كى يرجعوا لأصل فطرة الإيمان فافهم . وقال فى ذلك الشيخ الأكبر سيدى المختار الكنتى فى الكوكب الوقاد مانصه : قال إمام الحرمين : لما ثارت الفرق الضالة وكثرت كان من حفظ الله بهذه الأمة المحمدية صيانة عقولهم فى التوحيد عن اكتفائهم بالتقليد ، فحقق العرفان فى أسرارهم بجميل التأييد ، وليس الحفظ كل الحفظ أن يحفظ العبد فى نفسه من البلاء ، وإنما الحفظ كل الحفظ أن يحفظ قلبه من الأهواء اهـ . وإذا فهمت هذا

---

(١) ورد بلفظ آخر . أورده الإمام السيوطى فى كتابه الإتقان ١٨٤/٢ - فصل كلام الصوفية فى القرآن عن الحسن وعزاه إلى الفريابى فى كتابه وهو كتاب مازال مخطوطا .

فاعلم أن المرء يدرك بالتوحيد مقاما يظنه من لاذوق له مجنونا وماهو بمجنون ويتوهم من لا فهم له أنه زنديق وما هو إلا صدّيق .

وقال الشيخ سيدى المختار رضى الله عنه : روى عن الجنيد أنه قال : من عبدَ الله ووحده حقّ توحيده استعبده وأوحده واختاره لنفسه وأفرده عن أبناء جنسه وجعله فردانيا يطلب فردانيا ، وما جنّ مجنون من العارفين إلا بتحسى خمرة الجلال ، ففى جلالته تاه المحبون ، وفى جمالاته تحير العارفون ، وبكمالاته أتحف الواصلين ، فهو ترجمان الأسماء ومنبع الآلاء وجماع جميع الأسماء ، فالمحبون فى جلالته مختلفون فى أحوالهم متباينون ، فمنهم من يغلب على عقله لكثافة أنوار حاله فيظهر التخليط فى أفعاله ، فيظنه من لاذوق له مجنونا وما هو بمجنون ، ويتوهم من لافهم له أنه زنديق وماهو إلا صدّيق ، ولكنه شرب فسكر . ولا عدوان إلا على الظالمين ، ولذا قال بعضهم فى وصف الحال :

وقل للذى ينهى عن الوجد أهله
إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
فإنا إذا طبنا وطاشت عقولنا
وخامرنا خمر الغرام تهتكنا
فلا تلم السكران فى حال سكره
فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا
أتلزمها بالصبر وهى مشوقة
وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
أيا حادى العشاق قم واحد قائما
وزمزم لنا باسم الحبيب وروّحنا

وصن سرّنا فى سكرنا عن حسودنا
وإن أبصرت عيناك شيئا فسامحنا
يحرّكنا ذكر الأحاديث عنهم
ولولا هواهم فى الحشا ما تحرّكنا
ألم تبصر الطير المقفص يافتى
إذا ذكر الأوطان حنّ إلى المغنى
فـفـرّج بـالـتـغـريـد مـابـفـؤاده
فتضطرب الأحشاء للحسّ والمعنى
كذلك أرواح المحبين يافتى
تحرّكها الأشواق للعالم الأسنى

وقال يحيى بن معاذ الرازى : لو دارت ألسنة العارفين مع الناس كما تدور قلوبهم مع الله لقيل إنهم مجانين ، وأنشدوا :

حيث ما دارت الزجاجة درنا   يحسب الجاهلون أنا جننا
ما جننا وما بنا من جنون   بل شربنا مدامة فسكرنا

قال : ويخصّ المقرّبين بمزيد توحيد يكفى فى التعبير عنه قول القائل :

قيل لى هل رأيت أحسن منها   قلت هل فى الوجود شئ سواها

قلت : فلو تتبعت مالنا وللقوم من الإشارات فى التوحيد ، لأدى بنا إلى الخروج عما نحن بصدده . فلنصرف العنان إلى الكلام فى الفيضة ووقوعها وما قال مشائخ الطريقة المعتبرون الموجودون فى زمننا ، فأقول : قال لى الشيخ الهمام ، والعارف الإمام السيد عبد الله بن الحاج العلوى : تأتى الفيضه على يدك حقيقة لا مجازا ، وترى من الحسد مالم

أحد قبلك ، وقال لى : أنت كبير الطريقة التجانية فى زمنك . وأشياء كلّ قلمى عن كتبها حياء . وهو كلامه يبرز من حسن ظنه بربه وبعباده ، ولعله يرى فى حال ثان ، وإلا فما أنا إلا عبد جانٍ متلطخ بالجرائم والأوزار ، وممن جزم بوقوع الفيضة التى ذكرها الشيخ العارف بالله من فتخر بطلعته جيد الزمان ، وتحلى بما يزدرى حلى الدرّ والمرجان ، ويشار له بالولاية العظمى بكلّ بنان ، الفانى فى محبة مولاه الرحيم الرحمن ، وغاص فى بحور حضرات خير بنى عدنان ، وتوّج من أسرار الختم بأحسن التيجان ، السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الملقب بيد حسان الطريق :

أسامى لم تزده معرفة وإنما لذّة كتبناها

ومنهم السيد الأجلّ والعلامة المبجل صاحب السرّ الأقدس والمقام الأنفس الخلف بعد السلف محمد عبد الرحمن بن الحاج العلوى المتقدّم الذكر . ومنهم العلم الأشهر والبدر المنير الأزهر ، والشيخ الأكبر والكبريت الأحمر من لايشكّ اثنان فى ولايته لسعة معارفه وصلاحه وروايته ودرايته محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنه . وأما الشيخان الأكبران والسندان الأشهران الخليفتان الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنهم ، والشيخ محمد الأمين بن أحمد بن محمد حسان الطريق رضى الله عنهما فما صرّحا كتصريح هؤلاء لكنهما أقرّانا على مانحن عليه ، وحمدا الله على مابلغهما وأمدّانا بالدعاء وبكلّ مدد متعنا الله بهما . ومما قلت منذ أعوام قبل ظهور الفيضة :

وتأتى قريبا فيضة الختم هيئوا بتفريغ أغيار فتحظى بموضع

الخ ، وقلت :

ذلك البرزخ ذاك السر   ر والفيض حبانى

وقلت فى قصيدة طويلة أمدح بها الشيخ رضى الله عنه ومطلعها :

صاح قف بى للمغانى   أستبن دور الغوانى

ولنتمّ هذا الفصل بثناء العلماء على هذه الفيضة وأهلها ، قال العالم العلامة والدراكة الفهامة القاضى المشهود له بالتبرىز وكمال التمييز سيدى محمد عبد الله ابن المصطفى العلوى :

أمسجد إبراهيم أسست للتقوى   وأرضك لا تأثيم فيها ولا لغوا
لصحب أبى العباس فيك تحلق   تنال من العليا به الرتبة القصوى
مدينتك الغرّاء خير مدينة   لكلّ غريب فى جوانبها مأوى
وللدّين نشر لا يزال بطيها   وللشئ حظّ فى الذى فى اسمه يطوى
ويؤخذ منها بالبديهة أنها   لمنها يرى للدين فى الوسط المثوى
نزلنا بها والحال ذات تكدّر   فصار الذى نلقاه من كدر صفوا
ومن خلفاء الشيخ فيها خليفة   مدى الدهر لم يدرك له مدرك شأوا
يدير على شرب كئوس محبة   ولا سكر عند ذاك منهم ولا صحوا
إذا هم بأذكار المهيمن هينموا   يكاد لهم يهتزّ من طرب رضوى
يرومون من بحر المعارف حسوة   ويشفى صداهم ماينالونه حسوا
وقد تقتضى الأحوال صحة مااَدّعوا   وما كل حال تقتضى صحة الدعوى
عليك بشيخ القوم واسلك سبيله   ولا تنح إلا مايكون له نحوا
بدت من أبى العباس فيه خلافة   قفا أمره فى كلّ مسئلة قفوا
فأصحابه يملى عليهم معارفا   ويملؤهم فقها ويملؤهم نحوا
ومن كان هذا فى البرية وصفه   فما مثله فى الناس يوما ولا عدوا

إليكم بها حسناء بنت ضحية   تفوه بما شاءت لديكم وما تهوى
ومن كلّ عيب فى القوافى تبرأت   فما كان فيها من سناد ولا إقوا
لذلك جدوى فى عواقب أمرها   وما الأمر إلا بالعواقب فى الجدوى
صلاة وتسليم على سيد الورى   «محمد» المبعوث ليس له شروى

وله أيضا زيد فيضا :

السعد طالعكم بكلّ زمان   والبرج برج سعادة وأمان
ياشمس دين الهاشميّ لك الهنا   فإليك مرجع سائر الأديان
أعنى أبا إسحاق غرّة دهره   ساقى الرجال بأكؤس العرفان
ماهو إلا هو صاحب وقته   وعلى يديه فيضة التجانى
وإذا عرضت على القرائن حاله   فيها إليه يشير كلّ بنان
عجب له بحر تضمن أبحرا   من فيض ربّ العرش والأكوان
فمن الحقيقة فيه بحر زاهر   ومن الشريعة فيه بحر ثان
للفقه فيه مع الأصول ونحوها   وفروع كلّ منهما بحران
وكذا المعانى واللغات وما حوته   من البديع ومنطق وبيان
وضحت براهن ما أقول وإنما   صدق المقال بواضح البرهان
لازالت الأوقات منه دائما   معمورة بالذكر والقرآن
وتحفه حلق على سنن أتوا   مثل الحمام على نواضربان
من كلّ أورع ذى أناة كيس   كلف بما يعنيه ثبت جنان
قلبه تجذبه العناية إنما   جذب العناية مثل جذب عنان
لا يطبيه عنه ذكر أحبة   كلا ولا أهل ولا أوطان
وإذا به عنه يشطّ مزاره   أبدا تراه دائم الهيمان
لكن إذا ذكر الإله وجدته   متمايلا كتمايل النشوان

لازال من بين البرية صيته يعلو على الجوزاء والدبران
فكفاك ربك يا أبا إسحاقنا شرّ العداوة من ذوى العدوان
وشرور أرباب الضغائن والخنا وشرور ذى حسد وذى طغيان
وحباك أيضا باتباع « محمد » ومكارم الأخلاق والإحسان
وبحبّ أرباب العلوم وعلمهم وبحبّ من للشيخ من إخوان
ثم الصلاة مع السلام على النبى يتعاقبان تعاقب الملوان

وقال نسيج وحده من لا يرام شأوه لبعده ، العلامة الأوحد ، والكوكب الأسعد محمد عبد الرحمن بن السالك بن باب العلوى :

السرّ سرّ الشيخ فى مدينا فاختارها الله لنا موطنا
واختاره حليا لها إنها نالت متى تجلو وجوه المنا
فاسلك طريقها تصل واستلم أركانها والشأن إن تركنا
إن زائرا تنل بها مطلبا أو خائفا تجد بها مأمنا
ديدن إبراهيم هدى الورى ولم ين العلم له ديدنا
أذعنت النفس له يافعا وقد غدا له الهوى مذعنا
بحاله وماله قد شرى من ألسن اللسن جميل الثنا
يبنى على الرفع بيوت العلا والرفع قد قل عليه البنا

وله أيضا زيد فيضا :

أيها الشيخ كعبة الآداب عرفات الأوطار والآراب
معدن العلم منبع السرّ مرمى أعين الزائرين والطلاب
ثمرة السودد المؤثل والمجد ومفتاح باب كلّ حجاب
لست مرتابا فى خلافتك الشيخ ولا مصغيا إلى مرتاب
أنت لبّ اللباب ممن يربى وقليل فى الناس لبّ اللباب

آمر بالمعروف ناه عن المنكر داع للحق لين الجناب
مرشد لم يخب مريدك سعيا فى ذهاب كلا ولا فى إياب
مفرد جمع حاضر غائب مستتر ظاهر مصيب الصواب
أسأل الله أن يعيرك دهرا ملجأ للملهوف والمنتاب
أسأل الله فى العوافى لقاء بيننا بعد ذا وحسن مآب
وصلاة من الإله على خير البرايا والآل والأصحاب
والرضا عن حقيقة السرّ معنا ه ممدّ الأغواث والأقطاب

قلت : وهؤلاء هم مشايخ الإسلام ، ورجال طريقتنا فما عداهم عيال لهم ، وكلهم أقرّوا بوقوع الفيضة على يد العبد الجانى جامع هذا المجموع المبارك التجانى ، فأنشد لسان حالى :

ماكنت أهلا وهم رأونى أهلا لذاك فصرت أهلا

وهؤلاء الذين وقعت فيهم هذه الفيضة وشغلهم دائما الله ورسوله والشيخ التجانى ، استغرقهم الشيخ استغراقًا كليا فلا يفعلون إلا له وبه ؛ وهم القائمون بتعمير زواياه بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار بالذكر والصلاة على قدوتهم العظمى ووسيلتهم الأسمى ، وتتبع سننه وأخلاقه وآثاره وآدابه ، قد عيرهم أهل الغفلة الذين لم يرفعوا لشأن الإمام رأسا ؛ وليس لهم من التجانية إلا مجرّد الأخذ بأنهم ليسوا بالتجانيين ؛ فاستغربت ضحكا وأقول كما قال الشاعر المعرّى :

إذا عير الطائىَ بالبخل مادر وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السهاللشمس أنت صغيرة وقال الدجا للبدر ضوءُك آفل
فياموت زر إنّ الحياة ذميمة ويانفس جدّى إن دهرك هازل

ومع ماتقدّم من تضافر العلامات والآيات لم يدعها فى هذا الزمن من

مشائخ الطريقة المعتبرين أحد . نعم قد وقع بعض ذلك فى مبادى الأمر حكمة من الله تعالى . قال زروق : ماظهرت حقيقة قط فى الوجود إلا قوبلت بدعوى مثلها ، وإدخال ماليس منها عليها ، ووجود تكذيبها . كل ذلك ليظهر فضل الاستئثار بها وتبيين حقيقتها بانتفاء معارضيها ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [سورة الحج : ٥٢] وللوارث نسبة من الموروث ، وأشدّ الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، إنما يبتلى الرجلُ على قدر دينه ، فمن ثم كان أهل هذه الطريق مبتلين بالإنكار بتسليط الخلق عليهم بإذايتهم أوّلا ، وباكرامهم وسطا ، وبهما آخرا لئلا يفوتهم الشكر على المدح والصبر على الذّم ، فمن أراد ذلك فليوطن نفسه على الشدّة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [سورة الحج : ٣٨] ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [سورة الطلاق : ٣] فافهم .

وفى الرماح مانصه : وفى البحر المورود أخذ علينا العهد أن نوطن نفوسنا إذا طلبنا أن نكون من حزب الله عزّ وجلّ على تحمل البلايا والمحن وكثرة الإنكار علينا ممن عرفنا وممن لم يعرفنا ، وذلك لأنه لابد لكلّ أحد أراد الحقّ تعالى اصطفاءه أن يحصل له شئ من ذلك ساء أو برّ ؛ ثم لا يخفى عليك يا أخى أن سبب وقوع غالب الناس فى أعراض القوم كون أحدهم يطلب أن يكون من أهل حضرة الله تعالى ، وهو يحرم دخولها على من يراعى المقام عند الخلق ، فلذلك يسلط الله تعالى على أحدهم الخلق بالزور والبهتان وتمزيق الأعراض حتى يصير لا يركن لأحد من الخلق دون الله تعالى ، فإذا كان كذلك اعتمد على الله تعالى ضرورة وطلب المقام عنده ، وهناك يعطيه الله تعالى ثم يترقى بعد ذلك فى درجات التقرّب إلى المحلّ الذى قسمه الله تعالى له ، وما دام العبد

طلب مقاما عند الخلق فهو محجوب عن الله تعالى ، وكلما ازداد فى الصفات الخبيثة تزايد حَجبا ، حتى إنه ربما يحجب عن الله بسبعين ألف حجاب أو أكثر . وقال : سمعت عليا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول : لايصطفى الحقّ تعالى عبدا حتى تتحزّب عليه شياطين الإنس والجنّ ويرموه بالزور والبهتان ، فإذا نفرت نفسه عن الخلق وصار لا يركن إلى أحد منهم اصطفاه الله تعالى اهـ .

وقال : وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول : لما علم الله تعالى ماذا يقول الناس فى أنبيائه وأصفيائه من الزور والبهتان ، قضى على قوم بالشقاء والعياذ بالله تعالى ، فجعلوا له زوجة وولدا وقالوا ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [سورة المائدة : ٦٤] ونحو ذلك ، حتى إذا ضاق ذرع الولىّ مثلا من كلام قيل فيه : نادته هواتف الحق عزّ وجلّ : أما لك أسوة بربك سبحانه تعالى ، وقد جعلوا له زوجة وولدا ونسبوه إلى مالا يليق بجلاله ، غارقين فى فضله وأرواحهم بيده ، فلا يسع ذلك الولىّ إلا التأسى بربه عزّ وجلّ اهـ . وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى يقول : قد جرت سنة الله تعالى فى أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الأذى فى ابتداء أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخرا إذا صبروا ، وقد بسط الكلام على ذلك فى مقدّمات الطبقات فافهم ، والله تعالى يتولى هداك ا هـ . وفى عرائس البيان عند قوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى ﴾ [سورة المائدة : ١٩] أن القوم إذا لم يذوقوا مرارة إيذاء المنكرين لم يبلغوا حقائق الالتجاء إلى الله تعالى والفرار إليه ، فإذا الأضداد تهيج الأولياء إلى مقام الغيظ وضيق الصدر ، وذلك محل الامتحان من الله تعالى لكظم غيظ غصص المنكرين ، لتنفتح بعد ذلك أبواب الخطاب وصفاء البسط ومرور المنة . قال

الجنيد : جزى الله عنا إخواننا خيرا ، ردّونا بجفائهم إلى الله تعالى ، وهذه سنة الله تعالى قد جرت على أهل سلوك طريق المعارف والكواشف ، وقال الله تعالـى : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] . قال : وفى القواعد الزروقية ، ثم ذكر ماتقدّم من كلام سيدى زروق ، ثم قال : وإذا تحرّى هذا وثبت فهمه فى ذهنك ، فاعلم أن الرجل مبتلى على حسب دينه كما تقدّم ذكره ، فلكلّ نبىّ وصدّيق عدوّ ، فقد كان لآدم إبليس ، ولداود جالوت ولإبراهيم نمروذ ، ولموسى فرعون ، ولعيسى بختنصر والدجال واليهود ، ولسيدنا محمد أبو جهل وغيره . قال أبو علىّ الخوّاص : لو كان كمال الدعاء إلى الله تعالى موقوفا على إطباق الخلق لهم بالتصديق لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ والأنبياء قبله ، وصدّقهم قوم فهداهم الله تعالى بفضله ، وكذّب آخرون فأشقاهم الله تعالى بعدله ، وللأصفياء والأولياء أعداء فى عصر الصحابة إلى وقتنا هذا ، يؤذونهم ويتكلمون فيهم بسوء ، ودليل هذا كله قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ [سورة الفرقان : ٢٠] ولما كان الابتلاء شرفا جمع الله تعالى لخواصّ هذه الأمة من البلاء والمحن جميعا ما كان متفرّقا فى الأمم السالفة لعلوّ درجتهم ، فقد كان عبد الله بن الزبير كثير الخشوع فى الصلاة قالوا فيه : إنه مراء زان ، وصبوا على رأسه ماء حميمًا وهو ساجد وهو لا يشعر ، ومكث زمنا يتألم من رأسه . وكان لابن عباس رضى الله عنهما نافع بن الأزرق يقول : إنه يفسر القرآن بغير علم . وكان لسعد بن أبى وقاص بعض جهال الكوفة يؤذونه ويقولون إنه لا يحسن أن يصلى . وقد نفى أبو يزيد البسطامى من بلده سبع مرّات بأمر الحسين بن عيسى لما تكلم أبو يزيد بعلوم لا عهد لأهل بلده بها فى مقامات الأنبياء والأولياء ، ولم يعد

البسطامى إلا بعد الحسين ، ثم بعد ذلك ألفه الناس وعظموه . وكذلك ذو النون المصرى أخرجوه من مصر إلى بغداد مقيدا مغلولا ، وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة . وأخرجوا محمد بن الفضل البلخى من بلخ لكون مذهبه مذهب أهل الحديث من إجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل ولا تجسس على علم الله تعالى فيها ؛ ولما أخرجه أهل بلخ قال لهم : نزع الله من قلوبكم معرفته ، ولم يخرج بعد ذلك صوفى من بلخ مع أنها كانت أكثر بلاد الله صوفية . وكذلك شهدوا على الجنيد بالكفر ، كان يتكلم فى علم التوحيد على رؤوس الأشهاد فصار يقرره فى قعر بيته . وعقدوا على الشيخ ابن أبى جمرة مجلسا فى الردّ عليه حين قال أنا أجتمع بالنبيّ ﷺ فلزم بيته ولم يخرج إلا إلى الجماعة حتى مات ورموه بالكفر وبالقول بإباحة الخمر واللواط ، وأنه لبس فى الليل الغيار وهو يشبه الزنار ، وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر . ورموا أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان فمات ودفن بها . وأخرجوا الحكيم الترمذى حين صنف كتابه علل الشريعة وكتاب ختم الأولياء ، وأنكروا عليه بسبب هذين الكتابين ، وقالوا : فضل الأولياء على الأنبياء وأغلظوا عليه ، فجمع الكتابين كليهما وألقاهما فى البحر فابتلعتهما سمكة سنين ثم لَفَظتهما وانتفع بهما ورموا سعد بن عبد الله بالقبائح وأخرجوه إلى مصر حتى مات . ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم والكفر بألفاظ وجدوها فى كتبه . ورموا يوسف بن الحسين بالعظائم إلى أن مات ، لكنه لم يبال بهم لتمكنه . وأخرجوا أبا الحسن البوسنجى إلى نيسابور فلم يزل بها حتى مات . ورموا سحنون المحبّ بالعظائم ، ورشوا بغيا فادعت أنه كان يأتيها هو وأصحابه . وشهدوا على الشبلى بالكفر مرارا ، حتى إن من كان يحبه شهدوا عليه

بالجنون وأدخلوه المارستان ليرجع الناس عنه . وقال أحد مشائخ بغداد : لو لم تكن لله تعالى جهنم لخلقها للذين آذوا الشبلى وكفروه ، وقال : إن لم يدخل الشبلى الجنة فمن يدخلها ؟ وأخرج أهل المغرب الإمام أبا بكر القابسى من المغرب مقيدا إلى مصر ، فأخذ وسلخ حيا وهو يقرأ القرآن بتدبر وخشوع ، وكاد أن يفتتن به الناس فرفع الأمر إلى السلطان فقال : اقتلوه واسلخوه . وكذا سلخوا النسفى بحلب وكان ينظر إلى الذى يسلخه ويتبسم ، وعمل خمسمائة بيت من موشحات التوحيد وهم يسلخونه وذلك حين يقطعهم بالحجج ، فاحتالوا له بأن كتبوا سورة الإخلاص فى ورقة وخاطوا عليها نعلا ، فأهدوها إلى الشيخ من طريق بعيدة فلبسها وهو لا يشعر ، وقالوا لنائب حلب : إن النسفى كتب قل هو الله أحد وجعلها طباق نعله ، فبعث النائب إليه فاستخرج الورقة ، فسلم الشيخ لله تعالى ولم يذبّ عن نفسه ، وعلم أنه لابدّ أن يقتل على تلك الصورة . وأخرجوا أبا القاسم البهرباذى من البصرة وأبا عبد الله صاحب أبى حفص الحدّاد . وشهدوا على أبى الحسن البصرى بالكفر ، وتكلموا فى ابن شمعون بالكلام الفاحش حتى مات فلم يحضروا له جنازة ، وتكلموا فى الإمام أبى القاسم بن جميل بالعظائم إلى أن مات ولم يتزلزل عما فيه من الاشتغال بالعلم والحديث وصيام الدهر وقيام الليل وزهده فى الدنيا حتى لبس الحصير . وقال أبو بكر السمطانى : كان أبو دينار يحطُّ على الجنيد وعلى رويم وعلى سحنون وابن عطاء الله وعلى مشائخ العراق ، وكان إذا سمع واحدا يذكرهم تغيظ وتغير . وأخرجوا أبا الحسن الشاذلى من المغرب إلى مصر ورموه بالزندقة والإلحاد وتحليل المحرّمات . وقتلوا الإمام أبا القاسم بن قسى وابن حيان والجونى والمرجانى ، وما زالوا ينكرون على ابن العربى الحاتمى

وابن الفارض إلى وقتنا هذا ، وعقدوا على عزّ الدين بن عبد السلام مجلسا فى كلمة قالها فى العقائد . وحسدوا تقىّ الدين بن الليث الأعزّ وزوّروا عليه كلاما فى السلطان حتى همّ بقتله ثم تداركه الله تعالى . وقال السيوطى : ومما منّ الله تعالى علىّ به أنه أقام لى عدوّا يؤذينى ويمزّق عرضى لتكون لى أسوة بالأنبياء والأولياء ، واعلم أنه ما كان كبير فى عصر إلا كان له عدوّ من السفلة ، إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف اهـ . وكان سيدى أبو الحسن رضى الله تعالى عنه يقول : لما علم الله عزّ وجلّ ماسيقال فى هذه الطائفة على ما سبق به علم القديم بدأ سبحانه وتعالى بنفسه ، فقضى على قوم أعرض عنهم بالشقاء ، فنسبوا له زوجة وولدا وفقرا ، وجعلوه مغلول اليدين ، فإذا ضاق ذرع الولىّ والصديق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك نادته هواتف الحقّ تعالى : الذى قيل فيك هو وصفك لولا فضلى عليك ، أما ترى إخوانك من بنى آدم كيف وقعوا فى جانبى ونسبوا إلىّ مالا ينبغى ، فإن لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض نادته هواتف الحقّ أيضا : أما ذلك فىّ أسوة ، فقد قيل فىّ مالا يليق بجلالى . وقيل فى محمد ﷺ وفى إخوانه من الأنبياء والرسل مالا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون ، وأنهم لا يريدون بدعائهم إلا الرياسة . قلت : وابتلى الشيخ الختم التجانى رضى الله عنه بابن مايابى ، فقد ألف كتابا مشحونا بسبه والافتراء عليه ولعنه وتكفيره وتضليله هو وأصحابه رضى الله عنهم ، وما حمل جلامدة الفقهاء على الإنكار على الأصفياء إلا الحسد . وقد قال العلامة زروق كما فى تأسيس القواعد ما نصه : معنى الحسد يرجع للمضاعفة ، ومقصد الحاسد إتلاف عين المحسود عليه من حسده ، فإذا كانت الفضائل فى النفوس كان الحسد فى أعيانها والعمل فى

إتلافها ، ومن ثم اختلفت أغراض الحاسدين ومقاصدهم فلا ينسب حاسد للعامة لمثله فى السوق ونحوه إلا الخيانة والغشّ ونحو ذلك ، ولا حاسد الجند إلا عدم الاحترام وقلة القيام بالحقوق ونحوه ولا حاسد الفقهاء والقرّاء إلا الكفر والضلال ونحوه ليتلف ذاته وفضيلتها المستدامة بدعوى ما يتلفها ويستدام ، ولا حاسد الفقراء إلا وجود الحيل والمخادعات ، وأنه صاحب ناموس ونحوه إلى غير ذلك مما يطول ذكره فافهم اهـ .

وهذا آخر الفصل ، والله سبحانه الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

الفصل الثانى

وهو الفصل الخامس من فصول الكتاب
فى أن علوم الأذواق المستند فيها على الكتاب والسنة

فأقول – وبالله تعالى التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

قال الشعرانى فى أوّل طبقاته ما نصه : مقدّمة فى بيان أن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة ، وأنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء ، وبيان أنها لاتكون مذمومة إلا إن خالفت صريح القرآن والسنة والإجماع لا غير وأما إذا لم تخالف فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم ، فمن شاء فليعمل به ، ومن شاء تركه نظير الفهم فى ذلك الأفعال ، وما بقى باب للإنكار إلا سوء الظنّ بهم وحملهم على الرياء ، وذلك لايجوز شرعا .

ثم اعلم ياأخى رحمك الله أن علم التصوّف عبارة عن علم انقدح من قلوب الأولياء حتى استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل به انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حتى عملوا بما علموا من أحكامهم ؛ فالتصوّف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا من عمله العلل وحظوظ النفس ، كما أن علم المعانى والبيان زبدة علم النحو ؛ فمن جعل علم التصوّف علما مستقلا صدق ، ومن جعله عين أحكام الشريعة صدق ؛ كما أن من جعل علم المعانى والبيان علما مستقلا صدق ، ومن جعله من جملة علم النحو صدق ، لكن لا يشرق على ذوق أن علم التصوّف يتفرع من عين الشريعة إلا من تبحر فى علم الشريعة حتى بلغ الغاية ، ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه

أعطاه الله هناك قوّة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حدّ سواء ، فيستنبط فى الطريق واجبات ومندوبات وآداب ومحرّمات ومكروهات ، وخلاف الأولى نظير مافعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئا لم تصرّح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب وليّ الله تعالى حكما فى الطريق لم تصرّح الشريعة بوجوبه كما صرّح بذلك اليافعى وغيره ؛ وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدول فى الشرع اختارهم الله عزّ وجلّ لدينه ، فمن دقق النظر علم أنه لايخرج شئ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم من الشريعة وهى وصلتهم إلى الله عزّ وجلّ فى كل لحظة ، ولكن أصل استغراب من لاله إلمام بأهل الطريق أن علم التصوّف من عين الشريعة كونه لم يتبحر فى علم الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة ؛ ردّا على من توهم خروجه عنهما فى ذلك الزمان وغيره ، وقد أجمع القوم على أنه لايصلح للتصدّر فى طريق الله عزّ وجلّ إلا من تبحر فى الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها ، وتبحر فى لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك ، فكلّ صوفى فقيه ولا عكس ، وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم . وكان القشيرى يقول : لم يكن عصر فى مدّة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبرّكوا به ، ولولا مزية وخصوصية للقوم لكان الأمر بالعكس اهـ منه بلفظه . وقال سيدى على القارى فى شرح الشفاء فى قوله قال النبىّ ﷺ « مَنْ أَحْدَثَ فى أَمْرِنا »[1] ولمسلم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٢/١٧٧ ح ٢٦٩٧ =

« مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا » وفى رواية « مَنْ أَدْخَلَ فى دِينِنا » وهو كذلك ، وفى أخرى « فى أمْرِنا هذا » على ما فى رواية صحيحة : أى هذا الأمر الواضح الكامل الذى لايحتاج إلى زيادة إحداث ما ليس منه : أى شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهر أو خفئ ملفوظ أو مستنبط ، وفى نسخة « ما ليس فيه فهو » أى ذلك المحدث أو ذلك الشئ المحدث « ردّ له » مردود غير مقبول ، وهذا الحديث أصل فى الاعتصام بالكتاب والسنة وردّ الأهواء والبدعة اهـ منه بلفظه . وقد صحّ أن سيدنا عليا كرّم الله وجهه قال : لو شئت لأوقرت ثمانين بعيرا من علوم النقطة التى تحت الباء ، ذكره الإمام الشعرانى فى الميزان ، وذكر لنفسه أنه ذكر فى كتابه الذى سماه بالجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون نحو ثلاثة آلاف علم ، قال : وأخفيت فى طيه مواضع استنباطه من الآيات غيرة على علوم الله أن تذاع بين المحجوبين . قال الشعرانى : وقد أخذه الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ عبد الحقّ ، فمكث عنده شهرا وهو ينظر فى علومه ، فعجز عن معرفة موضع استخراج علم واحد ، فقال لى : وضعك هذا الكتاب فى هذا الزمان لأىّ شئ ؟ فقلت : وضعته نُصرة لأهل الله تعالى ، لكون غالب الناس ينسبهم إلى الجهل بالكتاب والسنة ، فقال لى : أنا أقول فى نفسى : إنى عالم مصر والشام والحجاز والروم والعجم ، وقد عجزت عن معرفة استخراج نظير

= ومسلم فى صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ ح رقم ١٧١٨ من طريق ابراهيم بن سعد إلى آخر سند البخارى ولفظه .

وفى الباب عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ٧/١ عن عائشة بنفس رواية البخارى .

علم واحد منه من القرآن ولا فهمت مما فيه شيئا ، ومع ذلك فلا أقدر على ردّه من كل وجه ، لأن صولة الكلام الذى فيه ليست بصولة كلام مبطل ولا عامى اهـ منه بلفظه .

قلت : قال الله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [سورة النحل ٨٩] وقال تعالى : ﴿ مافَرَّطْنا فى الكتاب مِنْ شَيْءٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مالا تَعْلَمُونَ ﴾ . وانظر إلى جواب سيدنا على كرم الله وجهه لما سأله أبو جحيفة : هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله ﷺ ؟ قال لا ، إلا كتاب الله تعالـى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [سورة الإسراء : ١] . انظر صحيح البخارى (١) . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين : أما أحدهما فبثثته لكم ، وأما الآخر فلو بثثته قطع منى هذا البلعوم . وفى تذييل الشيخ

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب كتابة العلم ٧٣/١ ح ١١١ – حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف عن الشعبى عن أبى جحيفة قال قلت لعلى هل عندكم كتاب قال لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو مافى هذه الصحيفة قال قلت فما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الديات باب ماجاء لا يقتل مسلم بكافر ٢٤/٤ – ٢٥ ح رقم ١٤١٢ حدثنا أحمد بن منيع حدثنا هشيم أنبأنا مطرف عن الشعبى حدثنا أبو جحيفة قال قلت لعلى يا أمير المؤمنين هل عندكم سوداء فى بيضاء ليس فى كتاب الله ؟ قال : قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماعلمته إلا فيهما يعطيه الله رجلًا فى القرآن ومافى الصحيفة قلت وما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر – وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه الإمام النسائى فى سننه كتاب القسامة باب سقوط القود من المسلم للكافر من طريق سفيان عن مطرف إلى آخر طريق الترمذى ولفظه ج ٨ ص ٢٣ .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٧٩/١ بنفس طريق النسائى ومثل رواية الترمذى .

سيدى المختار رضى الله عنه : وكان يعنى أبا هريرة يقول : أخذت عن رسول الله ﷺ جرابَىْ علم ، أما أحدهما فقد بثثته ، وأما الآخر فوالله لو قلت منه كلمة واحدة لقطعتم هذا البلعوم (١) قبل أن أتمها ، وفى مثل ذلك يقول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

يارُبّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجال مسلمون دمى ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

لأن الحقائق الربانية لا يستطيع حمل أعبائها إلا من أهله الله لذلك وشرح صدره لما هنالك ، إذ لايقدر على حملها إلا نبىّ كريم أو ولىّ حكيم . قال جعفر الصادق : لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة . فلاطفه الحقّ غاية الملاطفة ، إذ يقول : ﴿ فأوْحَى إلى عَبْدِهِ ماأوْحَى ﴾ [سورة النجم : ١٠] أى فكان ماكان وجرى ماجرى ، وقال الحبيب للحبيب ما يقوله الحبيب للحبيب ، فخفى السرّ إذ عظم الأمر ، ولذلك لم يطلع عليه أحد ، فلم يعلم ما أوحى إلا الذى أوحى . فأبهمه لعظمه لأن الإبهام لايقع إلا للتعظيم فهو مبهم لايطلع عليه أحد ، بل يتعبد بالإيمان به ، وقيل بل علمه النبىّ ﷺ لخواصّ أمته أهل وراثته ، فهو العلم اللدنى وهو الذى لايحاط بكنهه ولا يطيق حمله إلا أهله من أقطاب هذه الأمة الشريفة . وذكر الفخر الرازى عن والده قال : سمعت أبا القاسم سليمان الأنصارى يقول : لما وصل محمد ﷺ إلى الدرجة العالية والمراتب الرفيعة فى المعارج أوحى الله تعالى إليه : يامحمد تم

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب حفظ العلم ٧٥/١ ح ١٢٠ حدثنا اسماعيل قال حدثنى أخى عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال حفظت عن رسول الله ﷺ ثم ذكره .

شرفك ، قال : يارب بنسبتي إليك بالعبودية . قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [سورة الإسراء : ١] فسماه الله تعالى بهذا الإسراء عبدا لتحققه ﷺ بالاسم الأعْظَم ، فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة إلا له ﷺ وللأقطاب من بعده من أمته تبعا لا حقيقة ، ويطلق على غيرهم مجازا دون حقيقة ، وفي رواية (لَمَّا خَلَوْتُ بِرَبِّى أَوْحَى إِلَى ثَلاثَ عُلُوم : عِلْمٌ أَخَذَ عَلَىَّ العَهْدَ بِكِتْمانِهِ إذْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لا يُطِيقُ حَمْلَهُ غَيْرِى ، وَعِلْمٌ أَمَرَنِى بِتَبْلِيغِهِ لِخَواصّ أُمَّتِى وَهُمْ أَبْدَالُ الأَنْبِياءِ ، وَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَىَّ العَهْدَ بِتَبْلِيغِهِ للعامّ والخَاصّ ، وَعَلَّمَنِى القُرآنَ فَلَقَدْ عَاجَلْتُ جِبْرِيلَ فى آيَةٍ مِنْهُ فَعاتَبَنِى رَبِى فَقالَ - ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ وفي رواية « فَلَمَّا أَدْنانِى رَبِى حَتَّى كُنْتُ كما قال تعالى : قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ؛ قالَ : وَسأَلَنِى رَبِى فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجِيبَهُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَىَّ بِلا تَكْيِيفٍ وَلا تَحْدِيدٍ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَها عَلَى فُؤادِى فَأَوْرَثَنِى عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَعَلَّمَنِى عُلومًا شَتَّى ، فَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَىَّ العَهْدَ بِكِتْمانِهِ إذْ عَلِم أَنَّهُ لا يُطِيقُ حَمْلَهُ أَحَدٌ غَيْرِى ، وَعِلْمٌ خَيَّرَنِى فِيهِ ، وَعَلَّمَنِى القُرآنَ ، فَكانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يُذَكِّرُنِى بِهِ ، وَعِلْمٌ أَمَرَنِى بِتَبْلِيغِهِ لِلعامّ والخَاصّ مِنْ أُمَّتِى ، أخرجه من رواية أبي هـــريرة اهـ . قلت : قال الله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨١] وقال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٨] وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ [سورة غافر : ١٢] وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الحديد : ٣] وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى

ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت : ٥٣] وقال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [سورة طه : ٥] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [سورة الزخرف : ٨١] وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [سورة النساء : ٨٠] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح : ١٠] وقال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [سورة الأنفال : ١٧] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] وقال تعالى : ﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [سورة محمد ٢] وقال تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الفتح ٢٨ ، ٢٩] الآية وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء : ٦٩] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٣] وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة يوسف : ١٠٥] وقال تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات : ٢١] وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه « كُنْتُ كَنْزًا لَمْ أُعْرَفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ ، فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَتَعَرَّفْتُ لَهُمْ فَبِى عَرَفُونى » (١) وقال « فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ » وقال « كانَ اللهُ

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء ١٩١/٢ وقال العجلوني قال القاري لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٦] أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما والمشهور على الألسنة كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فبي عرفوني وهو واقع كثيرًا في كلام الصوفيه .

وأورده ابن عراق في كتابه تنزيه الشريعة ١٤٨/١